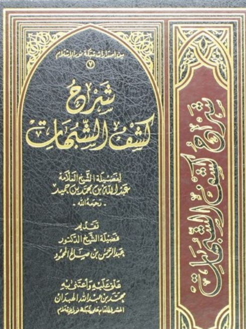

من إصدارات شبكة نور الإسلام
٧
شرح
كشف الشبهات
لفضيلة الشيخ العلامة
عبد الله بن محمد بن حميد
ـ رحمه الله ـ
تقديم
فضيلة الشيخ الدكتور
عبد الرحمن بن صالح المحمود
علق عليه واعتنى به
محمد بن عبد الله الهبدان
المشرف العام على شبكة نور الإسلام
شرح كشف الشبهات

الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد

هو العالم العلامة الشيخ أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن ابن حسين بن حميد، ينتهي نسبه إلى بني خالد القبيلة المعروفة.

وُلد بمدينة الرياض في التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وعشرين وثلاث مائة وألف من الهجرة النبوية. وبعد حفظ القرآن في صغره.

أخذ في طلب العلم، فقرأ على الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ قاضي الرياض (ت ١٣٧٢هـ)، والشيخ محمد بن عبداللطيف (١٢٦٣ ـ ١٣٤٥هـ)، والشيخ حمد بن فارس (١٢٦٣ ـ ١٣٤٥هـ) مدة قصيرة، وذلك قبل وفاته بنحو عشرة أشهر.

أما الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣١١-١٣٨٩هـ) علامة الجزيرة ومفتيها فهو شيخه الأكبر، فقد أخذ عنه جلّ علومه ومعارفه في كل الفنون وعلوم الآلة.

وقد وهبه الله رغبة في العلم وحب التحصيل والاستزادة من العلوم والمعارف بشتى أنواعها وفنونها، من الشرعية، والعربية، والأدبية أصولاً وفروعاً فتأهل وبرز بين الأقران. مما جعل الشيخ محمداً يعينه مساعداً له في التدريس.

للشيخ ـ رحمه الله ـ جهود متميزة في التدريس، وطريقةٌ في التعليم، كان لها أثر بالغ في إفادة الطلاب، وتميز المتميزين، وتجلي المواهب، وظهور المواهب الفردية لنجباء الطلاب.

أول عهده بالتدريس سنة ١٣٥٦هـ حينما كلّفه شيخه، الشيخ محمد بن إبراهيم بمساعدته في التدريس في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم.

في شهر ذي القعدة عام ١٣٦٠هـ حينما انتقل إلى بلدة المجمعة من منطقة سدير عقد حلقاته العلمية في المسجد المعروف (بمسجد ناصر).

وفي مدينة بريدة عقد حلقاته العلمية في المسجد الجامع الكبير، وقد زادت حلقات الشيخ كمّاً وكيفاً ففي المنطقة راغبون في العلم كُثُرٌ، وبخاصة أن طريقة الشيخ تستهوي طالب العلم، وتكشف المواهب، وتشحذ الهمم.

وفي عام أربع وثمانين وثلاث مائة وألف انتقل الشيخ إلى مكة المكرمة مجاوراً بيت الله العتيق، فعقد حلقة بين المغرب والعشاء خلف مقام إبراهيم.

لقد كان - رحمه الله - من كبار أهل العلم ذكاء، وحفظاً، واستقلالاً في الرأي، وقوة في الحق، لا يخشى من إبداء رأيه، واضحاً في كل مسألة يبحثها، ولهذا كانت له مواقف ومحاورات ونقاش وردود مع بعض أهل العلم في مؤلفات ومقالات ومكاتبات، هذا في جانب الفقه والأحكام والاستدلال.

أما في التوحيد والعقائد فكان سلفي المعتقد، يتحرى بدقة وشدة مذهب السلف الصالح من صحابة رسول الله ﷺ ورضي عنهم أجمعين وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان، حريصاً على نشر ذلك وبيانه والدفاع عنه والرد على المخالف.

أعماله:

كان الملك عبدالعزيز - رحمه الله - شديد الإعجاب به وبغزارة علمه وسداد رأيه وصفاء ذهنه وقوة شخصيته، حتى قال عنه: "لو أردت أن أولي بلداً فيها أمير وقاض في شخصية رجل واحد لكان ذلك هو الشيخ عبدالله بن حميد".

- وفي شهر المحرم عام ١٣٥٧هـ استدعاه الملك عبدالعزيز - رحمه الله - ليكلفه بالقضاء فامتنع الشيخ امتناعاً شديداً حتى صار بينهما شد وجذب، ثم باشر العمل وحمد الناس سيرته في القضاء نزاهة وتجرداً، وحكمة وعدلاً.

- ثم خلف العلامة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالعزيز بن العنقري (١٢٨٧-١٣٧٣هـ) - رحمه الله - في القضاء عام ١٣٦٠هـ؛ ليحل محله في القضاء والتدريس، فسار في القضاء سيرته المعهودة من النزاهة والقوة إضافة إلى قيامه بالتدريس، وكان قضاؤه شاملاً لمنطقة سدير كلها.

- وفي شعبان عام ١٣٦٣هـ صدر إليه التكليف بالقيام بالقضاء من قبل الملك عبدالعزيز.

- في عام ١٣٧٢هـ انتدبه الملك عبدالعزيز - رحمه الله - إلى الحجاز للنظر في قضايا متخلفة عسر البت فيها من قبل قضاة سابقين وطال فيها النزاع وتشابك فيها

الخصوم، فمكث هناك سنة كاملة، فأتى عليها جميعاً، وأمضى فيها حكمه، بتوفيق من الله وعونه.

واستمر في القضاء حتى أواخر عام ١٣٧٧هـ حيث آثر السلامة وطلب الإعفاء، فرفع تلك الرغبة إلى الملك سعود بن عبد العزيز - رحمه الله -، فأجيب طلبه بعد مراجعات وإلحاح شديد، ثم تفرغ للتدريس.

- في عام ١٣٧١هـ استدعاه الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وعرض عليه منصباً جديدا وهو (مستشار الملك في الشؤون الدينية). ولكن رغبة أهل القصيم في استبقاء الشيخ عندهم حالت دون تقليده هذا المنصب.

- وفي عام ١٣٨٤هـ كلفه الملك فيصل - رحمه الله - الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام، فانتقل الشيخ من القصيم إلى مكة المكرمة في ذلك العام.

- تولى رئاسة مجلس القضاء الأعلى عام ١٣٧٧هـ.

المجالس والمؤتمرات والهيئات واللجان التي رأسها وشارك فيها:

* عضو هيئة كبار العلماء في المملكة.
* رئيس المجمع الفقهي في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.
* رئيس لجنة جائزة الدولة التقديرية.
* عضو المجلس التأسيس لرابطة العالم الإسلامي.
* عضو المجلس الأعلى العالمي للمساجد في رابطة العالم الإسلامي.
* عضو المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة.

مؤلفاته:

لم تكن مؤلفات الشيخ - رحمه الله - مما يتناسب مع علمه الواسع وبذله الكبير وجهده في التحصيل والمطالعة والإقراء والتدريس، وقد يرجع ذلك إلى أمرين كبيرين:

أحدهما: ما نشأ عليه وما تلقاه من شيوخه من عدم الاحتفاء بالتأليف تواضعاً واكتفاء بما وضعه العلماء الأقدمون.

ثانيهما: الانصراف التام للتعليم والتدريس، وقضاء حوائج الناس، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إضافة إلى أعماله الرسمية، وعضويته ورئاسته لكثير من المنظمات والمجامع والمجالس والهيئات، مما لا يدع له وقتاً للإنتاج المتناسب مع هذا العلم الغزير، والفهم العميق. ومع ذلك فقد صدر له . رحمه الله . في حياته جملة من الرسائل والمؤلفات المختصرة والمقالات في الصحف والمجلات، منها:

(١) تبيان الأدلة في إثبات الأهلة. (في حكم الأهلة واختلاف المطالع بين البلدان).

(٢) الرسائل الحسان في نصائح الإخوان. (مجموعة مقالات توجيهية).

(٣) الدعوة إلى الجهاد في القرآن والسنة.

(٤) توجيهات إسلامية. (مجموعة مقالات توجيهية).

(٥) كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر.

(٦) هداية الناسك إلى أحكام المناسك.

(٧) الإبداع في شرح خطبة حجة الوداع.

(٨) حكم اللحوم المستوردة وذبائح أهل الكتاب.

(٩) نقد نظام العمل والعمال.

(١٠) رسالة في حكم التلفزيون.

(١١) رسالة في التوحيد.

(١٢) تنبيهات على أن جدة ليست ميقاتاً.

وفاته:

عاش الشيخ . رحمه الله . ثلاثاً وسبعين عاماً، وفي يوم السبت ١٦ ذي القعدة عام ١٤٠٢هـ دخل في غيبوبة حتى وافاه الأجل يوم الأربعاء الساعة الثالثة بعد الظهر يوم ٢٠ ذي القعدة من عام اثنين وأربع مائة وألف هجرية في مستشفى الهدى في الطائف.

وصلي عليه يوم الخميس في المسجد الحرام بعد صلاة العصر ودفن بمقبرة العدل بمكة المكرمة، رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة وأخلفه في عقبه خيراً لقاء ما قدم لدينه وأمته وللعلم وأهله. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

تقديم

فضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن عبدالله بن حميد

حفظه الله ووفقه

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته ، ، ،

وبعد :

فنسأل الله أن يثيبكم على جهودكم وأن لا يحرمكم الأجر والثواب وجميع المؤمنين المخلصين العاملين ..

الشيخ محمد البهدان قام واعتنى بشرح والدكم ووالدنا – رحمه الله تعالى – على كشف الشبهات.

١ - فأفرغ الأشرطة المسجلة في ذلك.

٢ - وصحح الشرح والمتن ورتبه ليكون موافقاً للنشر.

٣ - ثم إنه خرج الأحاديث وعزا الآيات إلى مواضعها.

٤ - كما أنه أضاف إليه تعليقات – لوالدكم – مناسبة للمقام ولإكمال الشرح.

فجاء الكتاب – كما ترون – متكاملاً معتنى به، حيث بذل المعتنى به وقتاً طويلاً في العناية به.

- ولما كان الكتاب المشروح – له من الأهمية ما لا يخفى عليكم – وقد أضاف إليه شرح وتعليق والدكم – رحمه الله تعالى – وطلبة العلم – بل وعموم المسلمين – ينتظرون مثل الشرح الذي جاء متوسطاً في حجمه، غزيراً في علمه، مناسباً جداً لعموم الناس.

- والباحث المعلق من طلبة العلم الأخيار الموثوقين، وهو معروف لديّ جداً – ولا أزكي على الله أحداً –.

فإنني آمل من فضيلتكم الموافقة على طباعته وإخراجه للناس، فهو نافع إن شاء الله تعالى، وهو – مع اختصاره في بعض المواضع – إلا أنه جاء على طريقة السهل الممتنع، خاصة مع هذه العناية الطيبة التي قام بها الشيخ الفاضل محمد الهبدان.

مرة أخرى آمل أن لا تحرموا المسلمين هذه الفوائد التي هي من العلم النافع الباقي لوالدكم، خاصة في موضوع كشف الشبهات الشركية التي أطلت مرة أخرى في بلاد الإسلام، – والله المستعان –.

وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

أخوكم

عبدالرحمن الصالح المحمود
كلية أصول الدين بالرياض
١٤١٩/٢/٢٩هـ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهديه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وبعد:

فإن رسالة الإمام المجدد والعالم الجهبذ محمد بن عبدالوهاب المرقومة بكشف الشبهات رسالة عظيمة، قيمة الفائدة، وقد تتابع ثناء العلماء على هذه الرسالة بالثناء الجميل، فمن ذلك ما قاله عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ – رحمه الله –:

"وقد تكلم شيخنا في كتابه كشف الشبهات على أكثرها، فراجعه إن شئت، فإنه مفيد مع اختصاره ولطافة حجمه"[1] وما قاله الإمام سليمان بن سحمان – رحمه الله –

---

(١) منهج التأسيس ص٢٧.

في معرض كلامه له: "صنف الشيخ – رحمه الله تعالى – كشف الشبهات، وذكر الأدلة من الكتاب والسنة على بطلان ما أورده أعداء الله ورسوله من الشبهات، فادحض حججهم، وبين تهافتهم، وكان كتاباً عظيم النفع على صغر حجمه، جليل القدر، انقمع به أعداء الله، وانتفع به أولياء الله، فصار علماً يقتدي به الموحدون، وسلسبيلاً يرده المهتدون، ومن كوثره يشربون، وبه على أعداء الله يصولون، فلله ما أنفعه من كتاب، وما أوضحه من خطاب، لكن لمن كان ذا قلب سليم، وعقل راجح مستقيم"(١).

وقال الشيخ عبدالله بن حميد – رحمه الله –: "وهذا الكتاب مع قصره من أنفع الكتب لأنه يذكر فيه شبه المبطلين من عباد الأصنام والمتوسلين بغير الله يذكر شبههم ويجيب عليهم شبهة شبه ولهذا سمي الكتاب كشف الشبهات" وقد سمعت شرح فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد – رحمه الله – على هذا الكتاب فوجدت فيه فوائد جليلة، يحتاج إليها الطالب المبتدئ ولا يستغني عنها الطالب المنتهي، ولجلالة الشيخ ومكانته العلمية، ولأهمية شرحه على هذا الكتاب وقلة شروح الكتاب المطبوعة، رأيت أن أخدمه لينتفع به جل الأصحاب، مع ملاحظة أن شرح الشيخ رحمه الله إنما هي تعليقات يسيرة أراد الشيخ منها توضيح الكتاب لطلابه وتيسير فهمه، فلينتبه إلى هذا الأمر، فباع الشيخ كبير، وعلمه غزير وكتاباته تدل على ذلك. وما هذا الشرح إلا شيء يسير من بحر علمه رحمه الله.

وكان المنهج الذي سلكته في رسالة الشيخ هذه هي كالتالي:

(١) بعد نسخ الأشرطة وتفريغها، قمت بمراجعة النص والتأكد منه.

(٢) حيث إن مقام الشرح على الطلاب يختلف عن مقام التأليف فإني راعيت هذا الجانب فإذا كان هناك عبارات مكررة في نفس المقام، فإني لا أذكرها لعدم

---

(١) الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق ص٩٣.

الحاجة إليها. وأحاول ربط كلام الشيخ بكلام المصنف حتى يكون أوضح للطالب. وفي حالة عدم وجود كلام للمؤلف على نص ما فإني أحاول أن أنقل من كلامه ما يناسب المقام سواء كان ذلك من رسائله أو من هذا الشرح نفسه، وأشير إلى ذلك مع وضع علامة القوسين ().

(٣) إذا كان هناك تعديل وتغيير يقتضيه السياق فإني أضعه بين قوسين [] إلا إذا كان التصرف يسيراً كزيادة حرف أو نقصانه فإني في الغالب لا أشير.

(٤) عزوت الآيات إلى أماكنها من المصحف.

(٥) خرجت الأحاديث وذلك باختصار، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن كان في غيرهما فإني اقتصر في الغالب على الكتب الستة، وأذكر ما يحضرني من كلام المحدثين في صحة الحديث وضعفه. ولا استقصي ذلك.

(٦) وضعت عناوين لمباحث الكتاب ووضعتها بين قوسين، وذلك للتسهيل على القارئ وخاصة الشبه التي ذكرها المصنف.

(٧) وضعت بعض التعليقات اليسيرة خاصة في الأمور التي لم يتكلم عليها المؤلف.

(٨) قمت بضبط الشكل وذلك باختصار.

وفي الختام أحمد الله جل جلاله أن يسر لي إتمام خدمة هذا الكتاب وإخراجه لطلاب العلم بثوب قشيب ينهل منه الناهلون ويستفيد منه المستفيدون، وأسأل الله أن أكون قد وفقت لهذه الغاية، وبالله أعتضد فيما أعتمد، وأعتصم مما يَصِم، وأسترشد إلى ما يرشد، فما المفزع إلا إليه، ولا الاستغاثة إلا به، وبه استعين وهو نعم المعين. والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

محمد بن عبدالله الهبدان

المشرف العام على شبكة نور الإسلام

www.islamlight.net

بسم الله الرحمن الرحيم

[تعريف التوحيد]

اعْلَمْ ـ رَحِمكَ اللهُ ـ(*) أن التوحيدَ هوَ إفرادُ الله بالتعلقِ(*).

---

* قوله: **(اعلم رحمك الله)** هذا دعاء من المصنف للطالب المسترشد يدعو لك بالرحمة، وقوله (اعلم رحمك الله) لماذا يقول المصنف دائما في كتبه اعلم رحمك الله ولم يقل اعلم غفر الله لك، فإن ثلاثة الأصول للمؤلف قال: (اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل) وهنا يقول: (اعْلَمْ ـ رَحِمكَ اللهُ ـ أن التوحيدَ) وفي كثير من رسائله يقول اعلم رحمك الله، ولم يقل اعلم غفر الله لك **فهل هناك فارق بين قوله أعلم غفر الله لك، وبين قوله اعلم رحمك الله؟** نقول لك: نعم هناك فارق، لأن قولك أعلم رحمك الله أعم، فقولك أعلم رحمك الله يشمل ما مضى، وما يقع عليك في المستقبل من الذنوب، يدعو لك بالرحمة العامة في الماضي والمستقبل، أما غفر الله لك فهي خاصة بالماضي غفر الله لك ذنوبك، و الذي لم يجئ من الذنوب ولم يصدر منك شيء فهذا لم يشمله الدعاء، و لهذا عدل عن قوله اعلم غفر الله لك إلى أن قال اعلم رحمك الله، حتى يشمل المستقبل بالدعاء لك بالرحمة وإذا حصلت الرحمة، حصلت المغفرة وذهبت الذنوب برحمة منه سبحانه وتعالى، بخلاف غفر الله لك فهذا دعاء بأن الله يغفر لك ما مضى من ذنوبك مع السكوت عن الدعاء عما يقع منك في المستقبل.

* قوله: **(أن التوحيدَ هوَ إفرادُ الله بالتعلق)** يعني بالعبادة. هذا هو التوحيد الذي أُرسلت من أجله الرسل، و أنزلت لأجله الكتب، ولأجله جردت سيوف الجهاد، ولأجله حقت الحاقة، ووقعة الواقعة، ولأجله نصبت الموازين، ولأجله قام سوق الجنة والنار، ولأجله صار الناس فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير، كله لأجل توحيد العبادة وهو مدلول كلمة الإخلاص لا إله إلا الله، ولأجلها خلق الله الخليقة، ولأجلها أقام الصراط بين الجنة والنار إلى غير ذلك، كله من أجل لا إله إلا الله الذي حقيقتها إفراد الله بالعبادة، والبراءة من الشرك.

[التوحيد هو دين الرسل]

وهو دينُ الرسلِ الذي أرسلَهمُ اللهُ به إلى عبادِهِ(*).

---

* وهو دين الرسل من نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ كلهم دينهم التوحيد ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩] ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥] ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣] ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وفي حق نبينا ﷺ يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾. [الأنبياء: ٢٥]، هذه دعوة الرسل، والمصنف عنون هذا الكتاب بيانا لدعوة الرسل، وهذا الكتاب مع قصره من أنفع الكتب، لأنه يذكر فيه شبه المبطلين من عباد الأصنام والمتوسلين بغير الله، يذكر شبههم ويجيب عليها شبهة شبه، ولهذا سمى هذا الكتاب بكشف الشبهات، وقد قال فيه بعضهم يمدح الكتاب هذا يقول:

كشف بالكشف عنا كل معضل ... ضل الذكي بها في الكون حيرانا
نصرت فيه طريقاً للنبي غدت ... لا تستطيع لها الأفهام عرفانا
ذرت عليها الذواري فهي خافية ... حتى جهدت لها بحثاً وتبياناً[1]

إلى آخر الأبيات.. اعْلَمْ رَحِمكَ اللهُ أن التوحيدَ هوَ إفرادُ الله بالتعلقِ، وهو دينُ الرسلِ فأولهم نوحُ عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ كما تقدم في الآيات المشار إليها من أن كل نبي يدعو قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

---

(١) ملاحظة: لهذا الأبيات وجدتها على طرة كتاب كشف الشبهات وهو مخطوط برقم ١٠٤٧٨/ف في جامعة الإمام. وقد نسبت إلى سليمان بن عبدالله رحمه الله.

[زمن حدوث الشرك وسببهُ]

فأولهم نوحٌ عليه السلام أرسلَهُ اللهُ إلى قومِهِ لَمّا غلوا في الصالحينَ: وداً وسُواعاً ويغوثَ ويعوقَ ونسراً، وآخرُ الرسل محمد ﷺ(*) وهو الذي كسر(*) صور هؤلاء الصالحينَ(*).

---

* يعني أن الرسول ﷺ هو آخر الرسل كما تقدم، أولهم نوح وآخرهم محمد ﷺ وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين الخمسة ودا وسوعا .. إلى آخره.

* أي الرسول ﷺ.

* قوله: (صور هؤلاء الصالحين) ودا و سواع و يغوث ويعوق ونسر.. وهؤلاء الصور الخمسة كانوا في قوم نوح وكانوا رجالا صالحين ولما ماتوا أسِف عليهم قومهم فصوروهم فطال الأمد ثم عبدوهم من دون الله ثم جاء الطوفان فحمل تلك الصور وألقاها إلى ساحل جدة، فجاء رائي[1]. إلى عمرو بن لحي الخزاعي فقال له: اذهب إلى جده تجد بها أصناما معدة فخذها ولا تهب وادعوا العرب إليها تجب، فذهب إلى ساحل جده ووجدها قد وارتها الرمال فأخذها إلى مكة ثم وزعها وفرقها في قبائل العرب فصاروا يعبدونها من دون الله[2]، فقال النبي ﷺ في عمرو بن لحي هذا: "رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار"[3] أي: أمعاءه، لأنه أول من غير دين إبراهيم وأول من سيب السوائب والله أعلم

---

(١) وهو التابع من الجن، وقد كان لعمرو بن لحي تابع من الجن يقال له أبو ثمامة.

(٢) ذكر ذلك محمد بن حبيب عن ابن كلبي، انظر أخبار مكة للفاكهي ١٦١/٥، ولم يذكر لها سنداً، وانظر فتح الباري ٥٤٩/٦.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٢٠) ومسلم (٢٨٥٦)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

[بيان بعض ما كان عليه أهل الجاهلية]

أرسلَهُ إلى أناسٍ يتعبدونَ ويَحجونَ ويتصدقونَ ويذكرونَ اللهَ كثيراً، ولكنهمْ يجعلونَ بعضَ المخلوقاتِ وسائطَ بينهمْ وبينَ اللهِ، يقولونَ: نريدُ منهمُ التقربَ إلى اللهِ، ونريدُ شفاعتهمْ عندهُ، مثلَ: الملائكةِ وعيسى ومريمَ وأناسٍ غيرهم منَ الصالحينَ(*).

* إن الله أرسل محمداً ﷺ إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرا وهم كفار قريش، فإن قريشاً الذين بعث فيهم الرسول ﷺ وغيرهم يتصدقون ويكرمون الحجاج ويذبحون لهم ويضيفونهم ويفكون الأسير ويعطون الآني[١]، إلى غير ذلك ويذكرون الله كثيرا ويطوفون بالبيت الحرام لكن العلة الكبيرة التي تبطل هذا كله هو أنهم يجعلون وسائط بينهم وبين الله يرجون شفاعتهم ويرجون التقرب بهم إلى الله، فما تنفعهم تلك العبادات لا صلاة ولا حج ولا صدقة ولا ذكر لله، هذا لأنهم جعلوا وسائط بينهم وبين خالقهم، قال الله سبحانه وتعالى فيهم وفي أمثالهم: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ الفرقان: ٢٣، فأعمالهم كلها غير مقبولة لأنه لا إسلام لهم وقال: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ التوبة: ١٧، فمجرد عمارتهم لمساجد الله ومجرد طوافهم بالبيت الحرام ومجرد صدقاتهم ومجرد إكرامهم للحجاج ومجرد تقربهم إلى الله بأنواع العبادات مع أنهم يتخذون الوسائط بينهم وبين الله يرجون شفاعتهم ويرجون أنهم يقربهم إلى الله، وأنهم يرفعون حوائجهم إليه، =

(١) أي الواهن، انظر اللسان (٤٩/١٤).

=وهؤلاء الوسطاء الذين كانت قريش تتخذهم آلهة فيما بينهم وبين الله، مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين وكذلك بعضهم يجعل الواسطة بينهم وبين الله الشمس، وبعضهم يجعل القمر، وبعضهم يجعل اللات، وبعضهم يجعل العزى، وبعضهم يجعل الملائكة، ومع هذا بطلت أعمالهم ولم ينفعهم شيء لأنهم كفروا بالله وأشركوا به، قال تعالى في حق من اتخذ الملائكة ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٨٠)، وفي حق عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۝ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة: ١١٦-١١٧)، وفي حق الشمس والقمر: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (فصلت: ٣٧)، وفي حق الشجر قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ (النجم: ١٩-٢٢)، وحديث أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم حنين ونحن حدثاء عهد بكفر قال: فمررنا بسدرة، وفي رواية "خضراء" وكان للمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم. أي أنهم يرجون خيرها وبركتها. قال فمررنا بسدرة خضراء فقلنا يا رسول الله: أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: **"الله أكبر إنها السنن. أي الطرق. قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها=**

[الحكمة من بعث النبي ﷺ]

فبعثَ اللهُ محمداً ﷺ يجددُ لهم دينَ أبيهم إبراهيمَ عليه السلام، ويُخبرهُم أن هـذا التقربَ والاعتقادَ محضُ حقّ اللهِ، لا يصلحُ منهُ شيءٌ لغيرِ الله لا لملكٍ مقربٍ ولا لنبي مُرسلٍ، فضلاً عن غيرِهِم(*).

=كما لهم آله"(1)، هم لم يقولوا اجعـــل لنا إلها، إنما قالوا اجعل لنا ذات أنواط لكن شبـه الطلبة بالطلبة وأن مرادهم بقولهم اجعل لنا ذات أنواط يرجون خيرها وبركتها وشبه مقالتهم بمقالة بني إسرائيل لموسى حيث قالوا: ﴿قَالُوا يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٨-١٤٠].

* المعنى هو أن الله بعث محمداً ﷺ ليخبر الناس بأن ما هم عليه من الشرك بالله تعالى ودعاءهم غير الله أنه دين باطل ، وأنه خلاف دين إبراهيم ، فإن نبينا ﷺ أمر بالتمسك بما كان عليه إبراهيم قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣] وملة إبراهيم: هي أن يعبد الله وحده لا شريك له ويتبرأ من عبادة ما سواه. بعث الله محمداً ﷺ يجددُ لهم دينَ أبيهم إبراهيم، وهو إفراد الله بالتعلق، ويخبرهم أن هذا التقرب إلى غير الله والاعتقاد لغير الله هو محض حق الله لا يصلح مـــن هـذا شيء لا لملك مقـرب كجبريـــل وميكائل وإسرافيل ، ولا لنبي مرسل، كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ فضلا عن غيرهم، بل هذا هوحـق الله على عباده، وإلا فهؤلاء المشركون الذين بعث فيهم =

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، وأحمد (٢٠٨٩٢)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

=الرسول ﷺ مقرون بتوحيد الربوبية يعترفون أن الله هو الخالق الرازق وأن الله هو المحيي المميت، وأنه هو المدبر لأمر هذا العالم، المتصرف فيه بما تقتضيه حكمته وإرادته، ومع هذا لم يدخلهم في الإسلام، فالمشركون يعترفون بأن الله يخلق، وهو الذي يرزق، وهو الذي يحيي، وهو الذي يميت، وهو الذي يدبر الأمور، ويعترفون أن الله هو الذي أوجد هذا العالم، وأوجد الأرضين وما فيها من بحار وجبال وأشجار وأنهار، وأوجد هذه السموات بما فيها من كواكب وأقمار إلى غير ذلك، وأوجد الملائكة. يعترف المشركون بهذا، ولكن مع هذا لم يدخلهم في الإسلام، فالاعتراف بتوحيد الربوبية لا يدخلهم في الإسلام حتى يعترفوا بتوحيد الألوهية ويعملوا به، والفرق بين توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون وبين توحيد الألوهية الذي أنكره المشركون هو:

أن توحيد الربوبية أن نوحده بأفعاله، هذا أقر به المشركون، أن نوحد الله بأفعاله.

توحيد العبادة: الذي أنكره المشركون وهو الذي وقعت الخصومة فيه، بين الرسل وأممهم، **هو أن نوحده بأفعالنا**، هذا هو توحيد الألوهية، وهو الذي وقعت الخصومة فيه، بين الأنبياء وبين الأمم، **معنى أن نوحده بأفعالنا**: أي أن أعمالنا لا نصرف شيئًا منها إلا لله، كالنذر والذبح والدعاء والاستغاثة والإنابة والتوكل وطلب العون إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي تصدر منا، فلا يصلح صرف شيء منها لا لملك مقرب كجبريل ولا لنبي مرسل كمحمد، فضلًا عن غيرهما، والله أعلم.

[بيان أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بالربوبية]

وإلاَّ فهـؤلاءِ المشـركونَ يشـهدونَ أنَ اللهَ هو الخالقُ وحدهُ لاشريكَ لـهُ وأنـهُ لايرزقُ إلا هوَ، ولا يُحيي ولا يُميتُ إلا هوَ، ولا يُدبِّرُ الأمرَ إلا هـوَ،وأن جميعَ السمواتِ ومن فيهنَّ ، والأرضينَ السبعَ ومن فيهنَ، كلهمْ عبيدهُ وتحتَ تصرفهِ وقهرهِ.

[الأدلة على إقرار الكفار بالربوبية]

فإذا أردتَ الدليلَ على أنَّ هؤلاءِ الذينَ قاتلهُمْ رسولُ الله ﷺ يشهدونَ بهذا فاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾(*) [يونس: ٣١]، وقوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ

---

* أي: ألا تفردونه بالعبادة، وتتركون عبادة ما سواه. فقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: من ذا الذي ينزل من السماء ماء المطر، فيشق الأرض شقاً بقدرته، ومشيئته، فيخرج منها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً، وفاكهة وأبا، أإله مع الله؟ فسيقولن الله، وقوله: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ أي الذي وهبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها، ولسلبكم إياها، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣]، وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٤٦]، وقوله: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ بقدرته العظيمة، ومنته العميمة. وقوله: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ أي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يُسأل عما يفعل وهم يسألون. ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، فالملك كله العلوي والسفلي، وما فيهما من ملائكة وإنس وجان؛ فقيرون إليه؛ عبيد له، خاضعون لديه ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾، أي: وهم يعلمون ذلك ويعترفون به، ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، أي أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم؛ فكثيراً ما يحتج=

تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩] وغير ذلك من الآيات.

=سبحانه وتعالى على المشركين بما اعترفوا به من توحيد الربوبية على ما أنكروه من توحيد الألوهية، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]، وتوحيد الربوبية قد فطرت على قبوله ؛ والاعتراف به قلوب بني آدم، فلم ينكره إلا شذاذ قليلون من بني آدم، فرعون القائل: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، والقائل: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ معترف في نفس الأمر بوجود الخالق الموجد لهذا العالم، كما حكى الله عنه في قوله: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ وفيما حكى الله عن نبيه موسى عليه السلام في قوله لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾[1].

---

(١) رسالة في التوحيد للمؤلف رحمه الله، ص٨٥-٨٧.

[إقرارهم بالربوبية لم يدخلهم في الإسلام]

فإذا تحققتَ أنهم مقرون بهذا، ولم يُدخلهُمْ في التوحيد الذي دعاهم إليهِ رسولُ الله ﷺ(*).

---

* يعني بتوحيد الربوبية السابق بيانه ولم يدخلهم في الإسلام بل قاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دمائهم وأموالهم، مع اعترافهم واقرارهم بتوحيد الربوبية، ومع هذا لم يكونوا بهذا مسلمين؛ لأنهم لم يخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، بل جعلوا مع الله شريك له، كانوا يعبدون الملائكة وعيسى وعزير والأشجار وغيرها يرجون خيرها، ويرجون بركتها، ويظنون أنها ترفع حوائجهم إلى الله، وهذا الدعاء لا ينفعهم، حتى ولو كانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً مادام أنهم غير معترفين بتوحيد العبادة، فلابد من توحيد العبادة الذي حقيقته أن لا يعبد إلا الله، ولا يستعان إلا بالله، والذي حقيقته بعبارة أخرى هو: أن نوحده بأفعالنا، هذا هو توحيد العبادة، ولهذا كثيراً ما يحتج الرب سبحانه وتعالى على عباده، يحتج عليهم بما اعترفوا به من توحيد الربوبية، على ما أنكروه من توحيد الألوهية، في آيات كثيرة، ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٥] وكذلك ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩] معترفون بأن الله هو الذي خلق الأرض ومن فيها، وخلق السموات ومن فيها، وأن الذي خلقها هو العزيز العليم، ومع هذا لم يصرفوا العبادة للعزيز العليم، بل جعلوا للعزيز العليم شريكاً يرفع حوائجهم إلى العزيز العليم، يرجون خيره ويرجون بركته، ويقولون إنه واسطة بيننا وبين الله، فاعترافهم بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض لا يدخلهم في الإسلام حتى ولو كانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً، مادام أنهم لم يصرفوا العبادة لله، وأنهم جعلوا بينه وبين الله وسائط، سواء كان ذلك الواسطة نبياً أوملكاً أو ولياً أوجنياً أو شجراً أو صالحاً، أو حجراً أو غير ذلك مهما كانت الحالة، فهم بهذا مشركون تُستحل دماؤهم وأموالهم كما فعل رسول الله ﷺ مع مشركي العرب والله أعلم.

[بيان التوحيد الذي جحده المشركون الأولون وتنوع معبوداتهم]

وعرفتَ أن التوحيدَ الذي جحدوه هو توحيدُ العبادةِ ،الذي يُسميه المشركونَ في زماننا {الاعتقاد} كما كانوا يدعونَ اللهَ سبحانهُ ليلاً ونهارا، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجلِ صلاحِهم وقربِهم من اللهِ ليشفعوا لـه، أو يدعو رجلاً صالحاً مثل: اللات، أو نبياً مثل عيسى(*).

---

* فإذا تحققت أن رسول الله ﷺ لما أمرهم بتوحيد العبادة، وأن مجرد اعترافهم بتوحيد الربوبية، لم يدخلهم في الإسلام، بل تركهم لتوحيد العبادة هو الذي أحل دمائهم وأموالهم، ومشركو العرب منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله، ومنهم من يدعو رجلا صالحا مثل اللات[1]، ومنهم من يدعو نبينا مثل عيسى -صلوات الله وسلامه عليه-، ومنهم من يدعو حجراً ، ومنهم من يدعو شجراً، والرسول بُعث لإبطال هذا كله ومحاربة هذا كله، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] وأحداً نكره في سيق النهي فهي تعم، وكقوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤] فالله سبحانه تعالى أخبر بأن هؤلاء=

(١) روى البخاري في صحيحه (٤٨٥٩) عن ابن عباس أن اللات كان رجلاً صالحاً يلت السويق للحاج.

=المدعوين لا يغنون من دعاهم شيئا ولا ينفعونهم بشيء بل هم أعداء لهم يوم القيامة كما دل على هذا القرآن، والرسول ﷺ بُعث بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وأن لا يكون هناك معبود غير الله ﷻ، ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦] أي من المشركين ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧] فهذا الملك الذي أنت تدعوه، أو هذا الرجل الصالح الذي أنت تسأله، أو هذا النبي الذي أنت ترجوه، أو هذا القبر أو هذا الشجر، هل يستطيع أن يرفع ما بك من ضرر؟ وهل يستطيع أن يدفع ما بك من مرض؟.

أبداً لا قدرة لأحد على ذلك إلا الله ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧] والآية الأخرى ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣] وهذا كله يدل على بطلان التعلق بغير الله وأن الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم بعثوا بهذا الغرض وهو أن يأمروا أممهم بعبادة الله وأن لا يسألوا ولا يرجوا إلا ربهم ﷻ وأنّ صرف شيء من العبادة لغيره هو كفر مضاه لكفر العرب الذين قاتلهم النبي ﷺ واستحل دمائهم وأموالهم لأجل هذا، ولا فرق بينها لو دعا ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً أو دعا شجراً أو حجراً أو رجلاً صالحاً أو دعا جنياً كل ذلك سواء، مادام أنه صرف شيئاً من العبادة لغيره فهو مشرك كافر حلال الدم والمال حتى يرجع عما هو عليه ويخلص العبادة لله وحده لا شريك له والله أعلم.

[سبب قتال الرسول للمشركين]

وعرفتَ أن رسولَ اللهِ ﷺ قاتلَهم على هذا الشركِ، ودعاهُم إلى إخلاصِ العبادةِ للهِ وحدَه كما قال اللهُ تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن: ١٨] وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ [الرعد: ١٤].

وتحققتَ أن رسـولَ اللهِ ﷺ قاتلَهـم ليكونَ الدعـاءُ كلُّه للهِ(*)، والنذر

---

* فمن دعا أحداً غير الله من الرسل أو الأنبياء أو الأولياء أو الصالحين أو غيرهم من سائر المخلوقات فقد أشرك بالله ودخل في وعيد الله بقوله تعالى: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ الآية فقد سمي الله الدعاء عبادة، بل هو مخ العبادة كما في الحديث الصحيح[١]. ونهى سبحانه أن يدعى معه أحد كائناً من كان، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾[٢].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي (٢/٣١٠)، مع التحفة، من حديث ابن لهيعة عن عبيدالله بن أبي جعفر عن أبان بن صالح عن أنس به، قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة. والحديث له شاهد من حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: "الدعاء هو العبادة"، أخرجه الترمذي (٩/١٤٩)، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الذهبي في تلخيصه على المستدرك (١/٤٩١)، والنووي في الأذكار ص٣٤٥، وقال ابن حجر في الفتح (١/٤٩)، إسناده جيد.

(٢) فتاوى ابن حميد، ص٣٧٩.

كلُّـهُ للهِ(*)، والذبحُ كلُّه للهِ(*)، والاستغاثةُ كلُّها للهِ،وجميعُ أنواعِ العبادةِ كلُّها للهِ(*).

---

* كذلك النذر لا يجوز أن ينذر لغير الله، ومن نذر لغير الله حرم الله عليه الوفاء به، وإنما الذي يجب الوفاء به إذا كان لله كما قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾[1].

* كذلك من ذبح لغير الله فقد أشرك في عبادة الله غيره قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقد فسر العلماء النسك بالذبح[2].

* هذا هو الذي من أجله قاتل النبي ﷺ مشركي العرب بحيث لا يدعون إلا لله، ولا يدعون إلا الله، لا يستغيثون إلا بالله .. لا يطلبون المدد إلا من الله، وأن يقطعوا العلائق من جميع الخلائق نهائياً ويتصلوا بالله سبحانه وتعالى، هذا هوالذي قاتلهم النبي ﷺ لأجله، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] والآية الأخرى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، الدين هو ما شرعه الله لعباده، هـذا هو الدين، **فإذا قلنا لك ما هو الدين؟** هو ما شرعه الله لعباده على ألسنة رسله، الدين لا يصلح إلا لله، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] ودعاء غير الله مناف للدين، وطلب المدد والذبح كله يتنافى مع الدين الذي هو التوحيد، فالنبي ﷺ قاتلهم لأجل هذا مع اعترافهم بأن الله هو الذي يخلق ويرزق، ويعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويصل ويقطع، لكن مع هذا لم يدخلهم في الإسلام في حين أنهم يصرفون مثل هذه العبادات لأفضل المخلوقات وإما لنبي وإما لولي وإمّا لملك مقرب، ومع هذا كفرهم النبي ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم، والله أعلم.

(١) فتاوى ابن حميد، ص٣٧٩.
(٢) فتاوى ابن حميد، ص٣٧٩.

[التأكيد على القاعدتين الأساسيتين]

وعرفتَ أن إقرارَهم بتوحيدِ الربوبيةِ لم يدخلْهم في الإسلامِ وأن قصدَهُمُ الملائكةَ والأنبياءَ والأولياءَ، يُريدون شفاعتَهم والتقربَ إلى اللهِ بذلكَ هو الذي أحلَّ دماءَهم وأموالَهم عرفتَ حينئذٍ التوحيدَ الذي دعتْ إليه الرسلُ، وأبى عن الإقرارِ به المشركون(*).

---

* إذا تحققت أن المشركين مقرون بتوحيد الربوبية من أن الله هو الذي يخلق ويرزق ويعطي ويمنع ويتصرف في خلقه بما تقتضيه حكمته وإرادته، ومع هذا لم يدخلهم في الإسلام، بل توحيد العبادة هو الذي أحل دمائهم وأموالهم، وقاتلهم النبي ﷺ لأجل ذلك، عرفت حينئذ حقيقة التوحيد، الذي بُعثت لأجله الرسل، وأرسلت لأجله الرسل، والمشركون كما تقدم في الآيات كلهم يعترفون بتوحيد الربوبية، لكن منهم من يدعو الملائكة ليلاً ونهاراً، ومنهم من يدعو الأشجار، ومنهم من يدعو الأحجار، ومع هذا قاتلهم الرسول ﷺ واستحل دمائهم وأموالهم من أجل أن يكون الدين كله لله، وقد أُمر النبي ﷺ بقتالهم كما في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي حتى لا يكون شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣] وآية الأنفال ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] فالله أمر الرسول بقتالهم حتى ينتهي الشرك ويكون الدين كله لله وحده لا شريك له، فعبادتهم ليلاً ونهاراً، وصيامهم وصدقاتهم وحجهم لم ينفعهم بل كما قال الله فيهم وفي أمثالهم ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وذلك لإنكارهم توحيد العبادة، الذي حقيقته أن لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، وحقيقته أيضا أن نوحده بأفعالنا، والمشركون وحدوا الله بأفعاله، غير أنهم لم يُوحدوه بأفعالهم، فتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، ولم يعصم به دمائهم وأموالهم، بل الرسول ﷺ استحل دمائهم وأموالهم وقاتلهم من أجل العمل بمعنى لا إله إلا الله بأن يكون الدين كله لله، لا يسأل إلا الله، ولا يستعان إلا بالله، ولا يطلب المدد إلا منه، ولا يستغاث إلا به، ولا يذبح ولا ينذر إلا له، **هذا هو حقيقة التوحيد** الذي هو دين الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو مدلول كلمة الإخلاص لا إله إلا الله، والله أعلم.

[مفهوم الإله عند المشركين]

وهذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله(*)، فإن الإله عندهم هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور سواءً كان ملَكاً أو نبياً أو ولياً أو شجرةً أو قبراً أو جنياً(*)، لم يريدوا أن الإله هو الخالقُ الرزاقُ المدبرُ

---

* لأن لا إله إلا الله تبطل وتنفي جميع ما يعبد من دون الله وتثبت العبادة لله وحده لا شريك له. (والتوحيد هو إفراد الله بالعبادة وهو معنى كلمة الإخلاص لا إله إلا الله فإن (لا) نافية للجنس فقد نفت جنس الإله أن يكون أحد منهم يستحق التأله بحق أو يصرف شيء من العبادات له ثم أثبت بقوله (إلا الله) العبادة لله وحده لا شريك له في ألوهيته كما أنه ليس له شريك في ربوبيته. وهذا هو معنى قول الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٧]، فاستثنى من المعبودين ربه وتبرأ مما سواه، ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وهذا المعنى في القرآن والسنة كثير جداً وهو حقيقة ما دعت الرسل إليه أممهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(1) [النحل: ٣٦].

* الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور سواءً كان ملَكاً أو نبياً أو ولياً أو شجرةً أو قبراً أو جنياً، وقد يسمونه بالسيد، يعنون بالسيد: الإله هذا عند المشركين، فإذا كانوا يصرفون شيئاً من الألوهية ويسمونه السيد وهذا كله من الأمور الباطلة، فالله سبحانه وتعالى لم يرض أن يجعل بينه وبين خلقه واسطة، وتلك الواسطة هي فقيرة محتاجة إلى من يدعو لها، ومن يشفع لها، فضلاً عن أن تُدعى=

---

(1) فتاوى ابن حميد رحمه الله ص٣٧٨.

= وتُطلب ويُصرف لها شيء من حق الله سبحانه وتعالى، وسيأتي ما قاله أبو جهل الذي أنزل الله فيه حين قال: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] لأن المشركين يرون أن الآلهة متعددة، فهذا إله، وهذا القبر إله، والشمس إله، والشجر إله، وهذا الجني عندهم إله، وهذا الحجر إله، فعندهم آلهات متعددة، لما قاله لهم الرسول ﷺ: "قولوا لا إله إلا الله" قالوا: تباً لك أما جمعتنا إلا لهذا[1] قال فرعون هذه الأمة ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]. لأنه فهم من معنى لا إله إلا الله أن الإله واحد، ما هناك تعدد الآلهة، والذي استقر في ذهنه وجرت عليه عقيدته، تعدد الإله فهذا إله وهذا إله، ولهذا يذبحون لهذا وينذرون للآخر، ويطلبون المدد من الثالث، وهكذا فاستغربوا أن الإله واحد، فهم يعرفون معنى لا إله إلا الله، ولهذا قال المصنف فيما يأتي (فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله)، يعني أنهم فهموا منها بطلان تعدد تلك الآلهة، وإنما الألوهية تثبت له وحده لا شريك له، بخلاف أهل زماننا فهم يقولون لا إله إلا الله ولم يعرفوا معناها، ولا ما دلت عليه، يذبحون لهذا ويطلبون المدد من هذا، ويستغيثون بهذا ويقولون لا إله إلا الله، وما علموا بأنها تبطل وتنفي عملهم هذا بل تكفرهم هذه الكلمة لأنهم لم يفهموا منها أن الإله واحد، ولم يفهموا منها بطلان ما يتعلقون به، بخلاف أبي جهل فإنه فهم منها بطلان تعدد الآلهة، وأن الإله المستحق للعبادة هو واحد، ولهذا قال: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] قال المصنف فيما يأتي (فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله)، والله أعلم.

---

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٣٢)، وأحمد (١٩٠٤)، من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

فإنهم يعلمونَ أن ذلكَ لله وحدَه كما قدمتُ لكَ(*)، وإنما يعنونَ بالإلهِ ما يعني بهِ المشركونَ في زماننا بلفظِ {السيد} فأتاهُم النبيُّ ﷺ يدعُوهم إلى كلمةِ التوحيدِ وهي(لا إله إلا الله).والمرادُ من هذه الكلمةِ معناها لا مجرد لفظِها(*)، والكفارُ الجهَّالُ يعلمونَ أن مرادَ النبي ﷺ بهذه

---

* معنى الإله هو المألوه الذي استحق العبادة، وليس هو الإله بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف الإله وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد – كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية وغيرهم، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث به رسول الله ﷺ، فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]، ومع ذلك كانوا يعبدون ويدعون غيره ويطلبون المدد من دون الله، وإذا قيل لهم لم تعبدون وتدعون غير الله، وأنتم تقرون بأن الله هو الخالق لكل شيء يجيبون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾(1) [الزمر: ٣].

* المراد من هذه الكلمة العظيمة وهي لا إله إلا الله معرفة معناها وما دلت عليه نفياً وإثباتاً، بخلاف ما كان عليه المشركون، فهم يظنون أن الإله هو الذي يخلق ويرزق فقط يعني يدبر شؤون هذا العالم وهذا المعنى صحيح لكن هذا توحيد الربوبية، وهذا لم يدخلهم في الإسلام بل هم كفار وهم معتقدون هذا الاعتقاد والرسول ﷺ قاتلهم، واستحل دماءهم وأموالهم من أجل أن يخلصوا العبادة لله هذا هو الغرض، ثم مجرد=

(1/1) رسالة في التوحيد للمؤلف رحمه الله ص٩٢.

=لا إله إلا الله لا تنفع قائلها إذا تخلف العمل بمقتضاها، لابد أن تعرف معناها وتعمل بمقتضاها، فاليهود وهم من أكفر الخلق يقولون لا إله إلا الله، وكذلك المنافقون يقولون لا إله إلا الله، وأخبر عنهم بأنهم في الدرك الأسفل من النار، ولم تنفعهم لا إله إلا الله؛ لأنهم لم يعملوا بمقتضاها بل ولم يعرفوا معناها، حتى المعرفة بمعناها لا يكفي إذا تخلف العمل بما دلت عليه، فإن النبي ﷺ يقول: "**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل**"[1]. فإن الرسول ﷺ لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، فإذا قال إنسان لا إله إلا الله ما تحقن دمه بها لأننا نقول: كل الناس يقولون لا إله إلا الله لكن يناقضونها فمثلاً: نقول عبادة القبور شرك تحل دم الرجل وماله فرأينا إنسان يتردد إلى هذا القبر ويقول: المدد المدد، أغثني أغثني!، قلنا يا شيخ: كفرت.

قال: يا أخ أنا أقول لا إله إلا الله، قلنا: ما تنفعك لا إله إلا الله لابد من قتلك إذا لم تتب، قال لك: الرسول ﷺ يقول: "**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**"[2]. وأنا أقول لا إله إلا الله لم تستحل دمي؟ تقول نعم قلت: لا إله إلا الله لكنك أفسدتها ولم تعمل بها لأنها تقتضي البراءة من عبادة غير الله، وإثبات العبادة له وحده لا شريك له، وأنت صرفت العبادة لهذا القبر، فخالفت معنى لا إله إلا الله، فإن التلفظ بها لم يكن عاصماً للدم والمال بل ولا معرفة معناها مع لفظها بل ولا الإقرار بذلك حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه، ثم قال بالها من مسألة ما أعظمها وأجلها، وياله من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع أي أن مجرد لا إله إلا الله مع تخلف العمل بمعناها لا تنفعك أبداً.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣) من حديث طارق بن أشيم ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٢١)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

الكلمةِ هو (إفرادُ اللهِ تعالى بالتعلق) (والكفرُ)بما يعبدُ من دون اللهِ والبراءةُ منهُ، فإنه لما قال لهم قولوا: لا إله إلا الله، قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾(*) [ص: ٥].

---

* الكفار الجهال يعرفون من هذه الكلمة، وهي كلمة لا إله إلا الله يعرفون منها ما قصده النبي ﷺ من تلك الكلمة من إفراد الله بالعبادة، والبراءة من عبادة ما سواه، فهم فهموا هذا وعلموا المعنى الذي يريده الرسول من هذه الكلمة وهي حين قال لهم: **"يا قومي قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"** قال عمه أبو لهب تباً لك ما جمعتنا إلا لهذا؟[1]. تباً لك بمعنى خسارة لك وهلاكاً لك ما جمعتنا إلا لهذه الكلمة ! فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١-٢]، أما أبوجهل فقال: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ لأنه فهم من هذه الكلمة وهي لا إله إلا الله أن الإله واحد وأن الإله لا يتعدد، قال: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] وذلك لأن المشركين عندهم عدة آلهات فثقيف ومن التحق بهم من قبائل العرب إلههم اللات، وقريش وبني كنانة ومن التحق بهم من قبائل العرب، آلهتهم العزى، وبني هلال ومن التحق بهم من قبائل العرب آلهتهم مناة، وأهل نجد ومن التحق بهم من قبائل العرب آلهتهم شيء، يسمى ذو الكعبات وهو بيت صنم يطوفون به ويأتون إليه وينذرون له، كل عنده آله، وكل عنده معبود، وكل عنده ما يتقرب به إلى الله، زعماً منهم أنهم وسطاء بينهم وبين الله، هذه الكلمة تبطل هذا كله، وهي لا إله إلا الله=

---

(١) المؤلف رحمه الله جمع بين حديثين أما الشق الأول وهو قوله: يا قومي قولوا .. الحديث فهو في مسند أحمد (٣٤١/٤) والشق الآخر أخرجه البخاري (٤٨٠١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر تفسير ابن كثير (٥٣٤/٨).

[مفاهيم خاطئة في فهم كلمة التوحيد]

فإذا عرفتَ أن جهالَ الكفارِ يعرفونَ ذلك فالعجبُ ممن يدعي الإسلامَ وهو لا يعرفُ من تفسيرِ هذه الكلمةِ ما عرَفه جهالُ الكفارِ، بل يظنُ أن ذلك التلفظُ بحروفِها من غير اعتقادِ القلبِ لشيء من المعاني والحاذقُ منهم يظنُ أن معناها: لا يخلقُ ولا يرزقُ إلا اللهُ، ولا يدبرُ الأمرَ إلا اللهُ ،فلا خيرَ في رجلٍ جُهّالُ الكفارِ أعلمُ منه بمعنى: (لا إله إلا الله)(*).

=أبو جهل عرف منها أن ما هناك إله لا ذو الكعبات ولا مناة ولا العزى ولا اللات ولا غيرها، ما هناك إلا واحد هو إله فقط ولهذا قال: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] يعني إن هذا لشيء عجب جاء به هذا الرجل.

فالمصنف يقول من العجب أن أبا جهل عرف من هذه الكلمة مالم يعرفه بعض علماء المسلمين اليوم، وأبو جهل فهم منها ما لم يفهمه كثير من علماء المسلمين اليوم حيث ظنوا أن لا إله إلا الله إنما تدل على أن الخلق والرزق والتدبير بيد الله فقط، وظنوا أن هذا المعنى هو مدلول كلمة الإخلاص فأبو جهل عرف منها ما لا يعرفه هؤلاء، والله أعلم.

* فإذا عرفت ما تقدم من بيان معرفة لا إله إلا الله، وما دلت عليه نفياً وإثباتا، وعرفت أنهم غلطوا - أي المشركين - في زماننا [حيث إنهم] لم يفهموا منها ما فهمه جهال مشركي العرب، فإن الحاذق منهم يظن أن معنا لا إله إلا الله أي لا إله يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمور ولا يحيي ولا يميت، إلا الله، يظن أن هذا هو معنى هذه الكلمة، يعني أنها تقرر توحيد الربوبية فحسب، فيكون معنى لا إله إلا الله أي لا خالق ولا رازق ولا محي ولا مدبر ولا متصرف في هذا الكون إلا الله، هذا هو الحاذق منهم، =

=وأبوجهل وأُبي بن خلف صاروا أعلم من هذا المتعلم في زماننا بمعنى هذه الكلمة، فهم فهموا أن لا إله إلا الله تدل على نفي العبادة لغير الله وإثباتها لله وحده لا شريك له، وأن معنى (لا إله) أي لا معبود بحق لا في الذبح ولا نذر ولا دعاء ولا توكل ولا إنابة، ولا استعانة، لا تكون لأحد إلا لله وحده، أي: أن العبادة تكون له وحده، هذا الذي فهمه أبو جهل وأضرابه، من هذه الكلمة فصار أبوجهل وأضرابه أعلم بكثير من أهل زماننا بتلك الكلمة، ولهذا قال المصنف: (فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله)، لظن هذا الرجل الذي هو في زماننا أن الكلمة تقرر توحيد الربوبية لله وحده، وهذا لا تدل عليه الكلمة فقط، نعم تدل عليه لكنها تدل على ما هو أشمل من هذا، لأن توحيد الربوبية (أقر) به مشركو العرب، بل جميع أصناف بني آدم، لا ينكره أحد منهم إلا من شذ، فعقلاء النصارى؛ وعقلاء اليهود؛ وأجناس بني آدم معترفون بتوحيد الربوبية حتى إبليس فإنه معترف بتوحيد الربوبية كما في قوله تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٦-٣٨] فهذا اعتراف من إبليس أن له رباً، وما معنى الرب في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ﴾.. تقول معناه: المالك المعبود المتصرف، هذا معنى الرب .. وهو الذي يعرفه إبليس، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ﴾ معنى انظرني: اعتراف من إبليس أن الله هو القادر على إنظاره ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ اعتراف من إبليس أن الخليقة لابد أن تبعث من قبورها وتجازى المسيء بإساءته والمحسن بإحسانه ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١] قال الله: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾.

فكيف يقال إن كلمة لا إله إلا الله تدل على هذا فحسب، وأن هذا هو معناها، فأصبح أبو جهل ومشركو العرب يعرفون منها، وما دلت عليه ما لا يعرفه كثير من منتسب العلم في زماننا بظنهم أنها تدل على توحيد الربوبية فقط والله أعلم.

[معرفة المؤمن لحقيقة الإيمان والشرك، وحال المشركين توجب له الفرح بالتوحيد والحذق من سلبه]

إذا عرفتَ ما ذكرتُ لكَ معرفةَ قلبٍ، وعرفتَ الشركَ باللهِ الذي قالَ الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وعرفتَ دينَ اللهِ الذي أرسلَ به الرسلَ من أولِهم إلى آخرِهم الذي لا يقبلُ اللهُ مِن أحدٍ ديناً سواهُ وعرفتَ ما أصبحَ عليه غالبُ الناسِ فيه من الجهلِ بهذا. أفادَكَ فائدتين:

الأولى: الفرحُ بفضلِ اللهِ ورحمتِهِ كما قال الله تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾(*) [يونس: ٥٨].

---

* يقول المصنف إذا عرفت ما قلت لك مما تقدم من معنى لا إله إلا الله، وأنها تبطل وتنفي جميع ما يعبد من دون الله، وأنها تثبت العبادة لله وحده لا شريك له، وأن أبا جهل وأضرابه يعرفون من هذه الكلمة معناها بخلاف ما عليه مشركو الناس اليوم، وهم يظنون أن لا إله إلا الله أنها تدل على الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة، فصار أبو جهل بهذا أعلم منهم بمعنى لا إله إلا الله، إذا عرفت ذلك، وعرفت الشرك بالله، وهو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، وعرفت ما عليه غالب الناس اليوم وما أصبحوا فيه من الشرك أفادك ما تقدم بفائدتين:

الأولى: الفرح بفضل الله، وفضل الله أن عرفك بالإسلام وجعلك من أهله، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] فمعنى هذه الآية: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ﴾، فضل الله=

وأفادك أيضاً: الخوف العظيم(*). فإنك إذا عرفت أن الإنسانَ يكفرُ بكلمةٍ يخرجُها من لسانه ، وقد يقولُها وهو جاهلٌ فلا يعْذَرُ بالجهلِ وقد يقولُهَا وهو يظنُّ أنها تقرّبُه إلى الله تعالى ،كما ظَنَّ المشركون،خصوصاً إن ألهمَكَ اللهُ ما قصَّ عن قوم موسى معَ صلاحِهِم وعلمِهِم ،أنهم أتوهُ قائلين:﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ (الأعراف:١٣٨) فحينئذٍ يعظمُ خوفُكَ وحرصُكَ على ما يخلِصُكَ من هذا وأمثالِهِ.

=الإسلام، ورحمته أن جعلك من أهل الإسلام، وينبغي أن تفرح بهذا وأن يسرك هذا السرور العظيم، **هذه هي الفائدة الأولى**: أن عرفك بالإسلام، وعرفك ما ينافي الإسلام، وأن جعلك من أهله رحمة منه وإحساناً منه إليك، هذه هي الفائدة الأولى.

* **الفائدة الثانية** : .. وهي أنك تخاف الخوف الشديد بأن تنسلخ من هذا الإسلام، وأن تعرض لك شبهة تخرجك من هذا الإسلام الذي قال الله فيه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ،يونس: ٥٨. فأعظم نعمة أنعم الله بها على عباده هي نعمة الإسلام، أن عرفهم بالإسلام، وجعلهم من أهل الإسلام، ولكنه يخاف أن ينزع منه هذا الإسلام، أو هو ينزع من الإسلام فيبقى مع القسم الثاني الذين لا خير فيهم، والذين هم أعداء الرسل، وأعداء الدين الإسلام، كما تقدمت الإشارة إليه.

[بيان حكمة الله تعالى من جعله أعداء للأنبياء]

واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلاّ جعلَ له أعداءً[(١)] كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا..﴾[(*)] [الأنعام: ١١٢].

* معلوم من سنة الله في خلقه أن الحق يتصارع مع الباطل، وأنه لا بد أن يُقيض الله للحق أعواناً يدافعون عنه، ويُكتب لهم الغلبة والفوز مهما كان للباطل من صولة. كما أن من أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين وبيان حقيقة أنباء المرسلين: ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣]، وذلك أن الحق إذا جُحِد وعُورِض بالشبهات أقام الله تعالى له يد من يشاء من عباده مما يحق به الحق، ويبطل به الباطل، من الآيات والبينات، بما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة وفساد ما عارضه من الحجج الداحضة[(٢)].

(١) والحكمة في جعله للأنبياء والمصلحين أعداء ليحصل الابتلاء والتمحيص، فيتميز الخبيث من الطيب، والصالح من الطالح، والبصير من الأعمى، والصادق من الكاذب، وأيضاً: فالحق لا يستنير نوره، ولا يشع شعاعه، ولا ترسخ قدمه، إلا إذا قاومه أهل الباطل وعارضوه، فعند ذلك يظهر من علامات ثبوت الحق وفساد الباطل وزيفه ودجله ما يتنافس الكثيرون من المصلحين لإثباته وإقراره وتقعيده بكلام كثير ونقاش طويل.

(٢) فتاوى ابن حميد ص٣١٠

[أن لأعداء التوحيد حججاً وبراهين]

وقد يكونُ لأعداءِ التوحيدِ علومٌ كثيرة، وكتبٌ وحججٌ[1] كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾[*] [غافر: ٨٣].

* الأعداء يكون لهم حجج وأهل فصاحة وعلوم وبلاغة ويكون عندهم من الحجج، لكن حججهم تذهب سبهللاً[2]، فالعامي من الموحدين يغلب الآلاف من علماء المشركين الذين قال إمامهم ومقدمهم إبليس: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، والله أعلم[3].

---

(١) أشار المصنف رحمه الله بهذا إلى أنه ينبغي للموحد أن يعلم أن لهؤلاء علوم وحجج قد تروج على من غلبهم الجهل، وانطفأت عندهم نور البصائر، فلابد أن يستعد لهم بالحجة والبيان حتى لا يقع في شراكهم، وهذا المسلك الذي سلكه المصنف هو عين هدي النبي ﷺ فعندما أرسل معاذاً إلى اليمن قال له: "**إنك تأتي قوما من أهل الكتاب**". الحديث، قال الشيخ سليمان ابن عبدالله آل الشيخ رحمه الله: (قال القرطبي: ... وإنما نبهه على هذا ليتهيأ لمناظرتهم ويعد الأدلة لامتحانهم لأنهم أهل علم سابق بخلاف المشركين وعبدة الأوثان، وقال الحافظ: هو كالتوطئة للوصية ليجمع همته عليها ثم ذكر معنى كلام القرطبي، قلت (سليمان بن عبدالله) وفيه أن مخاطبة العالم ليست كمخاطبة الجاهل، والتنبيه على أنه ينبغي للإنسان أن يكون على بصيرة في دينه لئلا يبتلى بمن يورد عليه شبهة من علماء المشركين، ففيه التنبيه على الاحتراز من الشبه والحرص على طلب العلم)

(٢) أي هدراً.

(٣) هذا الكلام تم تنسيقه من كلام الشيخ في شرحه للمقطع السابق حيث إن شرح الشيخ على هذا المقطع لم يوجد ولذا حذفت منه الكلمات التي تشير إلى أنه سيأتي في درس قادم فقط والله أعلم.

[وجوب التسلح بالكتاب والسنة لدحض شبهات الأعداء]

إذا عرفتَ ذلك : وعرفتَ أن الطريقَ إلى اللهِ لابد له من أعداءَ قاعدينَ عليه ،أهلِ فصاحةٍ وعلمٍ وحججٍ، فالواجبُ عليكَ أن تتعلمَ من دين اللهِ ما يصيرُ لك سلاحاً تقاتلُ به هؤلاءِ الشياطين، الذين قال إمامُهُم ومقدمُهُم لربكَ عز وجلّ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾، [الأعراف:١٦-١٧]، ولكن إذا أقبلتَ على الله،وأصغيتَ إلى حججهِ وبيناتهِ،فلا تخفْ ولا تحزن: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦]، والعاميُ من الموحدين يغلبُ الألفَ من علماءِ هؤلاء المشركين(*)، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات:١٧٣] فجندُ اللهِ هم الغالبون بالحجةِ واللسان كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان.

* لأن حججهم أوهى من بيت العنكبوت، فهم ليسوا على بينة وليس عندهم حجج على باطلهم، فالعامي من الموحدين ممن قرأ القرآن يستطيع أن يرد شبه العلماء من علماء المشركين المفتتين بالقبور وعبادتها والذبح لها؛ لأنه لا دليل لهم ولا مستند عندهم، ولكن إذا أصغيت إلى حجج الله وبيناته، فلا تخف ولا تحزن إن كيد الشيطان كان ضعيفا.

[بيان أن في القرآن الحجج لرد شبهات المشركين]

وإنما الخوفُ على الموحدِ الذي يسلكُ الطريقَ وليس معه سلاحٌ وقد منَّ اللهُ تعالى علينا بكتابهِ الذي جعلَهُ: ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾(*) [النحل: ٨٩].

فلا يأتي صاحبُ باطلٍ بحجةٍ(*) إلا وفي القرآن ما ينقضُها، ويبين بطلانَها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] قال بعضُ المفسرينَ: هذه الآيةُ عامةٌ في كلِ حُجةٍ يأتي بها

* قد من الله علينا بهذا القرآن العظيم الذي جعله تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، فلا يأتي صاحب باطل إلا وفي القرآن ما ينقض بطلانه ويدحض حجته كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] فالقرآن عام شامل فيه كل خير، وفيه من الحجج ما يدمغ ويبطل حجج المخالفين من المشركين وغيرهم. (والقرآن الكريم ينزل على الرسول ﷺ مبيناً حال الرسل المتقدمين مع أممهم، وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين، وخذل أعداءه الكافرين، ليكون له بهم أسوة، فتسلى نفسه، ويطيب قلبه، وتهون عليه جميع المصاعب، ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾)(1) [هود: ١٢٠].

* الدين الباطل إذا جادل عنه المجادل ورام أن يقيم عودة المائل أقام الله تبارك وتعالى من يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، ويبين أن صاحبه الأحمق=

(١) فتاوى ابن حميد ص٣٠٩.

أهل الباطلِ إلى يومِ القيامةِ(*).

=كاذب مائق، وظهر فيه من القبح والفساد والتناقض ما يظهر به لعموم الرجال أن أهله من أهلِ الضلال حتى يظهر به من الفساد ما لم يكن يعرفه العباد، ويتنبه بذلك من كان غافلاً من سنة الرقاد، ممن لا يميز الغي من الرشاد[1].

* قال بعض المفسرين على هذه الآية: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ... هذه الآية: عامة في كل صاحب باطل يأتي بحجة بطلان يستدل بها على باطله، هي عامة إلى يوم القيامة، يعني فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها، ومن جملة ما في القرآن في هذه الآية: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ أي: ما يأتونك بأي باطل يستدلون به على باطلهم إلا جئناك بما هو أحسن منه مبينين فيه الحق، ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ أي: إيضاحا وبيانا، بل هذه الآية عامة في كل صاحب باطل يأتي بحجته إلى يوم القيامة[2]، إذ أنها دامغة لحجته، مبينة لبطلانها، فعباد القبور المفتتنون بها ليس عندهم حجج إلا أشياء ترهات.

يقولون: إنها وسائط بيننا وبين الله، والقرآن أبطل هذا.

يقولون: لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه ، القرآن أبطل هذا.

يقولون: إنهم شفعاء لنا عند الله ولهم جاه ونطلب منهم، القرآن أبطل هذا كله ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤] إلى غير ذلك مما دل عليه القرآن العزيز، والله أعلم.

---

(١) فتاوى ابن حميد ص٣١٠.

(٢) قال الشيخ عبدالرحمن السعدي ـ رحمه الله: في قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ الآية (يخبر تعالى أنه تكفل بإحقاق الحق وإبطال الباطل وإن كان باطل قُبل وجودل به، فإن الله ينزل من الحق والعلم والبيان ما يدفعه فيضمحل، ويتبين لكل أحد بطلانه ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ أي: مضمحل فإن هذا عام في جميع المسائل الدينية، لا يورد مبطل شبهة عقلية ولانقلية في إحقاق باطل أو رد حق إلا وفي أدلة الله من القواطع العقلية والنقلية ما يُذهب ذلك القول الباطل ويقمعه فإذا هو متبين بطلانه لكل أحد وهذا يتبين باستقراء المسائل، مسألة مسألة فإنك تجدها كذلك) تفسير ابن سعدي (٣/٢٧١).

[بيان موضوع الكتاب والغاية من تأليفه]

وأنا أذكرُ لكَ أشياءَ مما ذكرَ اللهُ في كتابه جواباً لكلامٍ احتجَّ به المشركونَ في زمانِنا علينا(*).

---

* أنا أذكر لك ـ بعد ما تقدم ـ أشياء منها ما كان يحتج بها أهل الباطل في زماننا علينا وذلك أنهم يحتجون بآيات يقولون: إن الآيات التي تحتجون بها إنها نزلت في المشركين ونحن لسنا بمشركين، بل نزلت فيمن يعبد الأصنام كما يأتي، أو يأتون بشيء لا دلالة فيه، فيقول المصنف نجيب عن شبههم بجوابين مجمل ومفصل.

أما المجمل فهو الأمر المهم والفائدة الكبيرة، وذلك أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، فإذا استدل عليك بما لا تعرف فقل: إن هذا من المتشابه وقد صح عن رسول ﷺ من حديث عائشة: "إذا رأيتمُ الذين يتبعونَ ما تشابهَ منهُ فأولئك الذين سمى الله فاحذرُوهُم" يعني أن في قلوبهم زيغاً.

أما الجواب المفصل فهو يأتيك، والمصنف سيمثل للمسائل التي يستدل بها أهل الباطل، ونرد عليهم بالجواب المجمل كما يأتي في قوله: (مثال ذلك)، كقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، ويستدل بهذا، ليس من لازم أنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أنهم يُسألون أو يُصرف لهم شيء من العبادة مما هو حق لله تعالى كما يأتي بيانه مفصلاً إن شاء الله، والله أعلم.

[الرد على أهل الباطل إجمالاً وتفصيلاً]

فنقول: جوابُ أهلِ الباطلِ من طريقين: مجملٍ، ومفصَّلٍ.

أما المجمل: فهو الأمرُ العظيمُ، والفائدةُ الكبيرةُ لمن عقلها، وذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إذا رأيتمُ الذين يتبعونَ ما تشابهَ منهُ فاولئك الذين سمى اللهُ فاحذرُوهُم)[1]. مثالُ ذلكَ: إذا قال لك بعضُ المشركين: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] وأنَّ الشفاعةَ حقٌّ، وأنَّ الأنبياءَ لهم جاهٌ عندَ الله، أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يَستدلُّ به على شيءٍ من باطلِهِ، وأنت لا تفهم معنى الكلامِ الذي ذكرَه(*)، فجاوبْهُ

* مثال ذلك إذا قال لك بعضُ المشركين: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] فقل هذا حق ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ لكن هل فيه دلالة على أننا نعبدهم؟ أو أننا نذبح لهم؟ وننذر لهم؟ نحن نعرف أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، هذا فيه مدح لهم، وتنويه بفضلهم، ولهذا جاء في الآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فهل في الآية على أننا نتعلق بهم ونذبح لهم وندعوهم ونسألهم تفريج الكربات؟ أبداً هذا ليس من الآية. =

(١) رواه البخاري ورقمه (٤٥٤٧) ومسلم ورقمه (٢٦٦٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

= أو قال لك: إن الأنبياء لهم شفاعة ولهم جاه؟ قل: كل هذا حق، لهم شفاعة ولهم جاه لكن إن كنت تعرف الجواب العلمي فأجبه، ورد عليه باطله، وإن لم يكن عندك علم وجاءك بهذه الأشياء واستدل على رأيه بشيء من كلام النبي ﷺ أو بشيء لا تفهم من القرآن فقل له: أنا أقطع أن كلام الرسول لا يخالف القرآن أبداً، وأن القرآن لا يتناقض أبداً، بالكلية، أنا أقطع يقيناً أن القرآن لا يتناقض، وأن كلام النبي لا يخالف القرآن بل يبينه ويفسره، ولكن كلامك هذا أنا لا أفهمه ولا أعرفه، وليس عندي فيه أي شيء، إلا أني أعرف أن القرآن لا يتناقض، وأعرف أن السنة الصحيحة لا تخالف القرآن بل تؤيده وتوضحه وتعبر عنه وتفسره، وكلامك هذا قد يكون من المتشابه الذي قال الله فيه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧] بهذا تتخلص وقد رددت عليه رداً محكماً بيناً، فهذا الجواب لا تتساهل به على ما يقول المصنف، وما ذكرته لي أيها المشرك من التعلق بالملائكة أو دعاء غير الله فالقرآن يبطله ويرده، فإذا كنت [لا] تعرف أن القرآن يرده ولا يبطله وليس عندك علم، وقد استدل عليك بما لا علم لك به ولا جواب عندك له، فقل له: لا أفهم كلامك، ولا أعلم عما تقوله، غير أن عندي أمران، فالله يقول: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾، [آل عمران: ٧]، وإن كان حقاً ليس من قسيم المتشابه فهذا تبين له السنة إن كان عندك شيء من معرفة السنة، وإذا لم يكن عندك شيء فتجاوبه بالجواب السابق بأن القرآن يأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وينهى عن عبادة ما سواه، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فتبين أن الحكمة من خلق الإنس والجن هي العبادة، وأما ما تقوله لا أفهمه؟ هذا أمر محكم بيِّن، وهو جواب جيِّد على ما يقوله المصنف رحمه الله، قال: (فخذ به ولا تستهن بهذا الجواب) ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥] والمصنف يريد بهذا أنه هو الجواب المجمل، أما الجواب المفصل فهذا يأتيك فيما إذا استدللت عليه بشيء من الآيات=

بقولكَ :إن الله ذكرَ أن الذين في قلوبهم زيغٌ يتركون المحكمَ ويتبعونَ المتشابهَ ،وما ذكرتهُ لك من أن الله ذكرَ أن المشركينَ يُقرون بالربوبية، وأن كُفرهم بتعلقهم على الملائكةِ والأنبياءِ والأولياءِ مع قولهم: ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَٰؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨] هذا أمر محكمٌ بينٌ لا يقدرُ أحدٌ أن يغيرَ معناه، وما ذكرتَ لي أيها المشركُ من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرفُ معناه، ولكن أقطعُ أن كلامَ الله لا يتناقضُ، وأن كلامَ النبي ﷺ لا يخالفُ كلامَ الله عز وجل،

وهذا جوابٌ جيدٌ سديدٌ ، ولكن لا يفهمهُ إلا من وفقهُ اللهُ تعالى ، فلا تستهنْ بهِ ، فإنهُ كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت : ٣٥].

[وأما الجوابُ المفصلُ]:

فإن أعداءَ الله لَهُمْ اعتراضاتٌ كثيرةٌ على دين الرسل يصدونَ بها الناسَ عنهُ.

=القرآنية ، وقال: إن هذه الآية نزلت فيمن يعبد الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام!، أو قال كيف تجعلون عيسى مثل الأصنام أو تجعلون الملائكة مثل الأصنام! مثلاً :

أنا أطلب من الملائكة فكيف تنزلون الآيات التي نزلت فيمن يعبد الأصنام على أناس يعبدون الله إلا أنهم يرجون شفاعة الملائكة، ويتعلقون بهم؟ أو أن هذا خاص بعيسى لأنه رسول الله، ولأنه أحد أولي العزم.

وجواب هذا كله يأتيك فيما بعد في الجواب المفصل والله أعلم.

[الشبهة الأولى]

[الأولياء والصالحون لهم جاه عند الله، ونحن نسأل الله بجاههم ومكانتهم]

منها قولُهُمْ: نحنُ لا نشركُ باللهِ، بل نشهدُ أنه لا يَخلقُ ولا يرزقُ ولا ينفعُ ولا يضرُّ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لـهُ، وأن محمداً ﷺ لا يملكُ لنفسِهِ نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن عبدِ القادرِ أو غيرِهِ، ولكن أنا مذنبٌ والصالحونَ لهم جاهٌ عندَ اللهِ، وأطلبُ من اللهِ بهم(*).

* المعترض يقول لك: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنا أصلي وأصوم، وأنا اعتقد أن عبدالقادر[1] أو ابن عباس، أو أحمد البدوي[2]، لا يضر ولا ينفع، وليس له مكانة، وإنما النافع الضار هو الله، لكن هؤلاء الصالحون لهم جاه عند الله، ولهم منزلة، وأنا مذنب فأنا أدعوهم من أجل أن يشفعوا لي عند الله، ومن أجل أن يرفعوا حاجتي إلى الله، فهم عند الله بمنزلة الوزراء عند الملوك فلابد أن آتيهم وأدعوهم وأذبح لهم من أجل أن يشفعوا لي ويرفعوا حاجتي إلى الله، يقول هذا، وإلا أنا اعتقد أن الله هو الذي يقضي الحاجات، وهو الذي يكشف الكربات وهو الذي يغيث اللهفات وبيده الضر والنفع، وبيده الخلق والرزق، وبيده التدبير، لكن هؤلاء ماهم إلا شفعاء، =

(١) هو أبو محمد عبدالقادر بن أبي صالح عبدالله بن جنكي دوست الجيلي الحنبلي شيخ بغداد أحد الزهاد وشيخ الإسلام، ولد بجيلان في سنة إحدى وسبعين وأربع مائة، وتوفي في عاشر ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمس مائه انظر سير أعلام النبلاء (٢٠/٤٩٣).

(٢) هو أبو العباس أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني المتصوف ولد سنة (٥٩٦هـ و توفي ٦٧٥هـ) الأعلام (١/١٧٥) وقد ذكر السخاوي في الضوء اللامع (٩/١٥٠) عن أبي حيان قال ألزمني الأمير ناصر الدين محمد بن جنكلي بن البابا بالمسير معه لزيارة أحمد البدوي بناحية طنطا فوافيناه يوم الجمعة وإذا هو رجل طوال عليه ثوب جوخ عال وعمامة صوف رفيع والناس يأتونه أفواجا فمنهم من يقول يا سيدي خاطرك مع غنمي، وآخر يقول مع بقري، وآخر زرعي إلى أن حان وقت الصلاة فنزلنا معه إلى الجامع وجلسنا لانتظار إقامة الجمعة، فلما فرغ الخطيب وأقيمت الصلاة وضع الشيخ رأسه في طوقه بعدما قام قائما وكشف عن عورته بحضرة الناس وبال على ثيابه، وحضر المسجد واستمر ورأسه في طوق ثوبه وهو جالس إلى أن انقضت الصلاة ولم يصل.

فجاوِبهُ بما تقدمَ:

وهو أن الذين قاتلَهم رسولُ الله ﷺ، مقرونٌ بما ذكرتَ، ومقرونٌ أن أوثانَهم لا تدبرُ شيئاً، وإنما أرادوا الجاهَ والشفاعةَ.

واقرأ عليه ما ذكرَهُ اللهُ في كتابِهِ ووضَّحَه.

= وأطلب جاههم فقط، فجاوبه بما تقدم؟ ما هو الذي تقدم؟ تقول: نعم أنت تقول إني لا أطلب من عبدالقادر شيء إلا لأنه رجل صالح، وإلا أنا أعرف إن الذي يقضي الحاجات هو الله والذي يشفي المرضى هو الله، والذي يكشف الكرب هو الله، ولكني آتي قبر عبدالقادر أو البدوي أو الرسول فأقول أشفع لي عند الله، أرفع حاجتي إلى الله، أنا في جوارك أنا في حسبك، قل له: هذا الذي أنت تقوله: هو عين شرك المشركين الذين بعث فيهم الرسول فهم يعرفون أن أوثانهم كاللات والعزى وذو الكَعبات لا تخلق ولا ترزق ولا تنفع ولا تدبر أمرَ من دعاها وإنما جعلوها وسائط فقط بينهم وبين الله، ومع هذا كفرهم الله في القرآن وقاتلهم النبي ﷺ واستحل دمائهم وأموالهم، فقولك من جنس قول المشركين الذين قاتلهم الرسول واستباح دمائهم وأموالهم سواء بسواء، لأن المشركين لم يعتقدوا في أوثانهم أنها هي التي تجلب النفع، أو أنها هي التي تدفع الضرر أو أنها تكشف المرض أو أنها تجلب لك الرزق أبداً، هم يعتقدون أن ذلك كله لله، ولكن يقولون العزى مثلاً لها مكانة عند الله وهي شجرة سمر وهي مطيعة لله ليست عاصية: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] فهذه شجرة سمر لها مكانة، فأتوسل بها أن ترفع حاجتي إلى الله، وهي واسطة بيني وبين الله، قل له: ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ أي: أضرت أم نفعت، ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ أي جائــــرة ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: ١٩-٢٣] هذا هو عين شرك المشركين، وستأتيك الآيات الدالة على هذا.

ويقول لك الخصم: هذه نزلت فيمن يعبد الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام، فتجاوبه أيضا بجواب آخر يأتي بيانه في كلام المصنف والله أعلم.

[الشبهة الثانية وجوابها][1]

[الكفار كانوا يدعون الأصنام ونحن ندعو الصالحين وفرق بينهما]

فإن قال: هؤلاءِ الآياتُ نزلتْ فيمن يعبدُ الأصنامَ، كيفَ تجعلونَ الصالحينَ مثلَ الأصنامِ؟ أم كيفَ تجعلونَ الأنبياءَ أصناماً(*)؟ فجاوبْهُ بما

---

* فإذا قال المشبه المبطل هذه الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام، ما هي الآيات؟ يعني مثلا: إنسان يذبح للبدوي، وينذر لعبدالقادر الجيلاني أو يأتي إلى الرسول فيقول يا رسول الله اشفع لي، المدد المدد يارسول الله.

قل له أنت: هذا شرك، لا يجوز، فإنك صرفت حق الله لغيره.

فإذا قال لك ما الدليل على أنه شرك؟.

تقول له: الأدلة كثيرة لكن منها:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣] واستدللت عليه بقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧] وبقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾، [سبأ: ٢٢-٢٣].

---

(١) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١٩/٤، ٢٧) فقد أجاب إمام الدعوة عن هذه الشبهة، وانظر أيضاً: الدرر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني ص٨٨.

تقدّمَ. فإنّـهُ إذا أقرَّ أن الكفارَ يشهدونَ بالربوبية كلِّها لله ،وأنهم ما أرادوا ممَّـن قصـدُوا إلا الشفاعة، ولكن إذا أراد أن يفرقَ بين فعله وفعلهِم بما ذكر، فاذكرْ لـهُ:

أن الكفارَ منهم من يدعو الأصنامَ، ومنهم من يدعو الأولياءَ الذين قال الله فيهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، ويدعونَ عيسى بن مريمَ وأمَّهُ، وقد قال الله تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(*). [المائدة: ٧٥-٧٦].

---

* **قال لك المبطل**: هذه الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام فكيف تجعلوننا مثل الكفار الذين يعبدون الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام التي هي الأشجار والأحجار، إنما نسأل الأنبياء والصلحاء، لأن لهم جاهاً، ولهم شفاعة.

جاوبه بما تقدم:

تقول لـه: إن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ شركهم مثل قولك سواء بسواء، فهم يطلبون من الملائكة ومن الأنبياء ومن الشمس والقمر ومن الأشجار ومن الصالحين، ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. [آل عمران: ٨٠].

ألم تقرأ قولـه تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسـراء: ٥٧] لأن المشركين كانوا يعبدون أناساً من الجن ثم إن الجن أسلموا وهؤلاء بقوا متمسكين بهم، =

=وقيل: إنهم يعبدون الصالحين فأنزل الله أن الذين تعبدونهم هم أناس صلحاء يبتغون إلى الله الوسيلة بالأعمال الصالحة يرجون رحمته ويخافون عذابه، فكيف تصرفون لهم حق الله؟.

فتقول له: إن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ شركهم مثل قولك سواء بسواء، فهم يطلبون من الملائكة ومن الأنبياء ومن الشمس والقمر ومن الأشجار ومن الصالحين، ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠]، فهذه الآية في الأنبياء والملائكة.

فقل له: هذه نزلت في الصلحاء وأنت تقول أنا لا أسأل إلا الصلحاء، فإذا قال أنا أسأل الرسول وأسأل الأنبياء، فكيف تجعلون من سأل النبي من جنس من سأل الأصنام؟ قل .. ألم يكن عيسى نبياً، قال: بلا، بل ومن أولي العزم.

ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٥-٧٦] فهذه نزلت في النهي عن دعاء عيسى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

فإذا قال لك: يا أخي كيف تجعلون من سأل الملائكة مثل من يعبد الأصنام؟.

قل: نعم ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠] قالت الملائكة: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟

واذكرْ لـه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦] فقل لـه: أعرفتَ أن الله كفرَ من قصدَ الأصنامَ، وكفرَ أيضاً من قصد الصالحينَ، وقاتلهم رسولُ الله ﷺ.

يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤١] فالملائكة تبرؤا من عابديهم وممن يسألهم من دون الله،

فقل لـه أيضا: عرفت أن الله كفر من قصد الأصنام كما كفر من قصد الأنبياء والصالحين سواء بسواء، فحينئذ بطل قولك وقامة الحجة عليه وأن من دعا غير الله وطلب المدد من غير الله أنه مشرك كافر سواء دعاء نبياً مرسلاً أو ملكاً مقرباً أو صنماً أو قبراً أو جنياً أو شجراً أو غير ذلك كما دل عليه القرآن العزيز والله أعلم.

[الشبهة الثالثة]

[الكفار يريدون المنفعة ودفع المضرة ونحن نريد الشفاعة فقط]

فإن قال: الكفارُ يريدونَ منهم[(١)]، وأنا أشهدُ أن اللهَ هو النافعُ الضارُّ المدبرُ لا أُريدُ إلا منه، والصالحونَ ليسَ لهم من الأمرِ شيءٌ ولكنْ أقصِدُهُمْ أرجو من الله شفاعتَهم.

فالجوابُ:

أن هذا قولُ الكفار سواءً بسواء، واقرأ عليه قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾(*) [يونس: ١٨].

---

* فإن قال لك المشبه المبطل الذي يذبح للقبور ويستغيث بها ويطلب منها المدد، قال بعدما استدللت عليه بالآيات السابقة، الكفار لا يشهدون أن لا إله إلا الله، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأعتقد أن الله هو النافع الضار، وإنما أقول: إن الصالحين ليس لهم من الأمر شيء غير أن لهم جاه عند الله فقط، فأنا أطلبهم من أجل جاههم، فكيف تجعلني من جنس الكفار.

لو ناظرت لك إنسان مثلاً يطلب المدد من القبور، قلت له: أنت عملك هذا خطأ، هذا القرآن ينكره، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦] واستدللت عليه بقصة عيسى=

---

(١) في نسخة (يريدون منهم النفع والضر)، وانظر تحقيق القحطاني ص٦٤.

[منزلة الشبه الثلاث عند المشركين]

واعـلمْ أن هـذهِ الشبهَ الثلاثَ هي أكبرُ ما عندَهُمْ، فإذا عرفتَ أن الله وضحَها لنا في كتابِهِ وفهمتَها فهماً جيداً فما بعدها أيسرُ منها(*).

=وغيره المتقدم في الآيات السابقة، قال لك: يأخي تجعلني مثل الكفار، أنا رجل أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأعتقد أن الله هو النافع الضار، واعتقد أن الصالحين ليس في أيديهم شيء غير أن لهم جاه، ولهم مكانة عند الله، فأنا أطلبهم واستغيث بهم لأجل أن يرفعوا حاجتي إلى الله، فقل له أنت: قولك [هذا] هو قول الكفار بعينه سواء بسواء لم تزد عنهم قيد شعره، فالكفار يعتقدون أن الله هو النافع الضار، وأن الله هو الذي بيده الأمر كله والتصرف كله، وإنما يطلبون من آلهتهم الواسطة بما لها من الجاه.

فإذا قال لك ما الدليل؟.

قلنا: الدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾، أي قائلين ما نعبدهم ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] واقرأ عليه آية يونس: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] سماه الله شركاً بعينه، إذن ينقطع ما عنده أي جواب.

* قال المصنف: وأعلم أن هذه الشبه الثلاث السابقة بيانها، هي أكبر ما عندهم فما بعدها أيسر منها وأسهل كما سيأتي والله أعلم.

[الشبهة الرابعة]

[الالتجاء إلى الصالحين ليس بعبادة]

فإن قال: أنا لا أعبدُ إلا الله، وهذا الالتجاءُ إلى الصالحين، ودعاؤهم ليس بعبادةٍ(*).

---

* فإذا قال لك المشبه: أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ليس بعبادة.

مثلاً: يقول أنا لا أعبد إلا الله والالتجاء إلى الرسول وسؤاله أن يشفع لي، وطلبي منه أن يقضي حاجتي ليست بعبادة، فعرفوا العبادة؟.

قلنا العبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة. **وقل له**: الدليل على هذا قوله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

لابد أن يقول نعم، لأنه لا يمكن أن ينكر القرآن..

فقل له: مادام أنك اعترفت أن الدعاء عبادة، وأن طلب الحوائج من الله عبادة، فما حكم من صرف شيئاً من العبادة لغير الله؟.

أو أنك دعوت الله ليلا ونهارا دائما وأبدا، ثم دعوت في قضاء تلك الحاجة نبياً أو ملكاً أو جنياً أو ولياً أو غير ذلك، هل تعتبر أنك أشركت بالله؟.

لابد أن يقول نعم، لأن الدعاء عبادة وهو دعاء غير الله، والله يقول: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ﴾ [الأعراف: ٥٥] وقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فسمى الدعاء عبادة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] يعني صاغرين ذليلين حقيرين.

[الجواب الأول]

فقلْ لهُ: أنتَ تُقرُّ أنَّ الله فرضَ عليكَ إخلاصَ العبادةِ، وهو حقُّهُ عليكَ؟ فإذا قال: نعم، فقلْ لهُ: بيِّنْ لي هذا الذي فرضَ اللهُ عليكَ وهو إخلاصُ العبادةِ لله وحدَهُ، وهو حقهُ عليكَ؟، فإن كان لا يعرفُ العبادةَ ولا أنواعَها، فبينها لهُ بقولِكَ: قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥] فإذا أعلمتَهُ بهذا.

فقلْ لهُ: علمتَ بهذا هل هو عبادة؟ فلابدَّ أن يقولَ: نعم والدعاءُ مخُ العبادةِ. فقلْ لهُ: إذا أقررتَ أنَّها عبادةٌ، ودعوتَ الله ليلاً ونهاراً، خوفاً وطمعا، ثم دعوتَ في تلكَ الحاجةِ نبياً أو غيرَهُ، هل أشركتَ في عبادةِ الله غيرَهُ؟ فلابدَّ أن يقولَ: نعم.

فقلْ لهُ: قال الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وأطعتَ الله ونحرتَ لهُ ،هل هذه عبادةٌ ؟ فلابدَّ أن يقولَ :نعم .

فقلْ لهُ : إذا نحرتَ لمخلوقٍ نبيٍّ أو جنيٍّ أو غيرهما ، هل أشركتَ في هذه العبادةِ غيرَ اللهِ؟ فلابد أن يقر ، ويقولَ :نعم(*).

---

* وقل له أيضا: إذا علمت بقول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] هل هذا عبادة، الله أمرنا بقوله ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ١-٢]، أي: أن الصلاة عبادة والنحر عبادة، يقول لك: نعم، قل إذن: ها أنت نحرت لغير الله، فهل صرفت له شيء من العبادة؟ لابد أن يقر ويقول: نعم.

بهذا تندحض حجته ويتضح له الحق، ويعرف أنه على غير هدى وأنه على ظلال مبين، وهذا كله من باب التنزل معه، وإنزال للحجة بما أقر به سواء بسواء وإلا فالأمر واضح، والآيات القرآنية واضحة، ودعوة الرسول ﷺ لكفار قريش=

[الجواب الثاني]

وقلْ لـهُ أيضاً: المشركونَ الذينَ نزلَ فيهمُ القرآنُ، هلْ كانوا يعبدونَ الملائكةَ والصالحينَ و اللاتَ وغيرَ ذلكَ؟ فلابـدَّ أن يقولَ: نعم.

فقلْ لـهُ: وهل كانتْ عبادتُهمْ إياهُمْ إلا في الدعاءِ والذبحِ والالتجاءِ ونحو ذلكَ؟، وإلا فهُمْ مقرونَ أنهمْ عبيدهُ وتحتَ قهرِ الله ،وأنَّ اللهَ هو الذي يدبرُ الأمرَ، ولكنْ دعوهُم، والتجأوا إليهِم للجاهِ والشفاعةِ،وهذا ظاهرٌ جداً(*).

=وغيرهم من قبائل العرب الذين بُعث النبي ﷺ يدعوهم إلى عبادة الله وينهاهم عن عبادة ما سواه كل ذلك واضح، ودعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم من نوح عليه السلام إلى آخرهم محمد ﷺ كما دل عليه القرآن أمر واضح لا يحتاج إلى دليل، لكن هذا كله من باب التنزل مع هذا المشبه المبطل فإنك تلزمه بنظير ما أقر به، والله أعلم.

* فقل له: إن المشركين الذين بعث فيهم الرسول ﷺ هل منهم من يعبد الملائكة، ويعبد الصالحين، ويعبدون اللات والعزى؟ لابد أن هذا المشبه يقول لك: نعم، لأن المشركين يعبدون الملائكة، وقسم منهم يعبدون الأنبياء وقسم منهم يعبدون الصالحين، وقسم منهم يعبدون الشمس والقمر.

والدليل على أنهم يعبدون الملائكة قوله الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

والدليل على أنهم يعبدون الأنبياء أيضاً في هذه الآية، كذلك قوله: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [المائدة: ٧٥].

والدليل على أنهم يعبدون الصالحين قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]=

"ويعبدون أيضاً اللات، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩-٢٠]، ويعبدون الأشجار كما في حديث أبي واقد قال: "خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط قال فمررنا بسدرة" وفي رواية "عند خضراء"(١) فقلنا يارسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ: "الله أكبر إنها السنن .."(٢).

فهذا لابد أن المشبه يقول لك نعم المشركون يعبدون الملائكة والصالحين والأنبياء واللات والعزى وغيرها، تقول له أنت: هذه العبادة ألم تكن دعاء وذبح والتجاء إليه؟، يقول لك: نعم، قل له إذن: هذا هو عين [فعل]مشركي زماننا سواء بسواء، فإن مشركي زماننا يعبدون الصالحين ينحون على قبورهم الأبنية، يذبحون لهم، يلتجئون إليهم، يلتمسون منهم الشفاعة، يطلبون منهم المدد، فهو عين شرك مشركي الأولين وهذا ظاهر جدا فلا يستطيع أن يدلي حجة حينئذ، بل هو منقطع، لأنه قبل يقول: هذا ليس بعبادة..ونحن نعبد الملائكة، نتقرب إلى الملائكة، أو إلى أناس صالحين، فبعدما تستدل عليه بهذه الآيات وتعرفه بأن المشركين أيضا يلتجئون إلى الأنبياء والملائكة ويذبحون لهم، وهذا بعينه شرك المشركين في زماننا، بل قد يكون شرك زماننا أغلظ من شرك الأولين، لأن الأولين يخلصون لله في الشدائد، وإنما كانوا يشركون في الرخاء، أما مشركو زماننا فشركهم دائم في الرخاء والشدة كما قال تعالى. هذا في عين المشركين الأولين: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾، [العنكبوت: ٦٥]، أما أهل زماننا فعندما يقع في أي مصيبة أو في أي كارثة يندب معبوده يا أحمد البدوي يا عبدالقادر أغثني أغثني وأكشف الشدة عني فصار شرك أهل زماننا أغلظ وأعظم من شرك الأولين كما تقدم وكما هو معلوم والله أعلم.

(١) هذه رواية الإمام أحمد في مسنده ورقمها (٢٠٨٩٢)

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٨٠) قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

[الشبهة الخامسة]

[من ينكر طلب الشفاعة من الرسول ﷺ والصالحين فهو منكر لشفاعة الرسول وغيره]

فإن قال: أتنكرُ شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها؟.

فقل لهُ: لا أنكرها ولا أتبرأ منها ، بل هو ﷺ الشافعُ المشفعُ ، وأرجو شفاعته، ولكن الشفاعة كلُّها لله تعالى كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

[شروط الشفاعة المثبتة]

ولا تكونُ: إلا من بعدِ إذن الله كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ولا يشفعُ في أحدٍ إلا من بعدِ أن يأذن الله فيه كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وهو لا يرضى إلا التوحيدَ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾(*) [آل عمران: ٨٥].

* الشفاعة ليست للرسول ﷺ بل لله وحده قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا﴾ [الزمر: ٤٤]، والرسول وغيره لا يشفع إلا بعد إذن الله له، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وأنهم لا يشفعون إلا لمن رضي الله قوله وعمله كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

[الطريقة الشرعية لطلب شفاعة النبي ﷺ]

فإذا كانت الشفاعةُ كلُها لله، ولا تكونُ إلا من بعدِ إذنِهِ ولا يشفعُ النبيُّ ﷺ ولا غيُرُه في أحدٍ حتى يأذن الله فيه[1]، ولا يأذن إلاّ لأهلِ التوحيدِ(*)[2].

---

* فلا يشفع أحد إلا بإذن الله له، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ وهو سبحانه وتعالى لا يأذن إلا لمن رضي الله قوله وعمله، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] فنقول: اللهم لا تحرمنا شفاعة نبيك، اللهم شفعه فينا، وأمثال هذا. والأحياء يشفعون للميت إذا قاموا يصلون عليه بدعائهم له، كما في صحيح مسلم حديث ابن عباس وغيره أن رسول الله ﷺ قال: **"ما من مسلم يموت فيقومون على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه"** وكما في دعاء=

---

(١) قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذه ولياً أو شفيعاً أنه يشفع له وينفعه عند الله كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع شفاعتهم من والاهم ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضى قوله وعمله كما قال تعالى في الفصل الأول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ..﴾ [البقرة: ٢٥٥] وفي الفصل الثاني: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ..﴾ [الأنبياء: ٢٨] وبقي فصل ثالث، وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد، واتباع الرسول ... فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها: لا شفاعة إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضى قوله وعمله، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله. أهـ مدارج السالكين) (١/٣٤١).

(٢) قال ابن القيم: تأمل النبي ﷺ لأبي هريرة وقد سأله "من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: **"أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه"** رواه البخاري ورقمه (٩٩). كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته وموالاتهم من دون الله فقلب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب، وأخبر أن سبب الشفاعة هو تجريد التوحيد، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع. مدارج السالكين (١/٣٤١)، وقال في موضع آخر عن هذا الحديث: إنما تنال بتجريد التوحيد، فمن كان أكمل توحيداً كان أحرى بالشفاعة، لا أنها تنال بالشرك بالشفيع كما عليه أكثر المشركين وبالله التوفيق. تهذيب السنن (٧/١٣٤).

تبينَ لك: أن الشفاعةَ كلَّها لله، وأطلبُها منه فأقولُ: اللهم لا تحرمني شفاعتَهُ، اللهم شفِّعه فيَّ، وأمثالَ هـذا.

= المصلين على الطفل المتوفى، فإنهم يقولون في دعائهم: اللهم اجعله ذخراً لوالديه وفرطاً وأجراً وشفيعاً مجاباً، فيسألون الله أن يقبل شفاعة هذا الفرط لوالديه، لا أنهم يطلبون الشفاعة من الفرط نفسه، لأن الشفاعة ملك لله، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[١]، وأن الله لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[٢] [آل عمران: ٨٥].

(١) رسالة في التوحيد للمؤلف رحمه الله ص١٠٦.

(٢) هذا الكلام منسق من كلام الشيخ رحمه الله في أثناء شرحه على هذا الكتاب.

[الشبهة السادسة]

[النبي أعطي الشفاعة وأنا أطلب منه مما أعطاه الله]

فإن قال: النبيُّ ﷺ أُعطي الشفاعةَ وأنا أطلُبُهُ مما أعطاهُ الله.

[الجواب الأول]

فالجواب: أن الله أعطاهُ الشفاعةَ ونهاكَ عنْ هذا فقال: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] فإذا كنتَ تدعو الله أن يُشفِّعَ نبيَّهُ فيكَ فأطعْهُ في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾(*) [الجن: ١٨].

---

* فإذا قال لك المشبه المبطل الرسول أعطي الشفاعة وأنا أطلب منه مما أعطاه الله، تقدم لك أن الشفاعة ليست للرسول بل لله وحده قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤] وأن الرسول وغيره لا يشفع أحد لأحد إلا بعد إذن الله له قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وتقدم لك أنهم لا يشفعون إلا لمن رضي الله قوله وعمله كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] وتقدم لك أن الله لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] فإذا انتقل من الشبهة الأولى التي أجيب عنها قال لك: الشفاعة أعطيها الرسول وأنا أطلب مما أعطاه الله، قل نعم، الله أعطى الرسول ولكنه نهاك أن تطلبه بل أطلبها من الله قل: اللهم لا تحرمني شفاعة نبيك اللهم شفعه فيَّ؛ لأن الله يقول: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤] فهي ملك لله ولا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه، إلا لمن إذن الله له، فإذا أذن الله للشافع شفع، فأنت أسأل الله الشفاعة حتى يأذن لنبيه أن يشفع فيك لأنه أعطاه الشفاعة ونهاك أن تدعوه قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

[الجواب الثاني]

وأيضـاً: فإن الشفاعة أعطيَها غيرُ النبي ﷺ فصحَ أن الملائكة يشفعون[١]، و الأفـراط يشـفعون[٢] ،والأولياءَ يشـفعون. أتقـولُ: إن الله أعطاهمُ الشفاعة فاطلبُها منهم؟!.

فإن قلتَ هذا، رجعتَ إلى عبادة الصالحينَ التي ذكرها الله في كتابه. وإن قلت:لا، بطل قولُك: أعطاهُ الله الشفاعةَ وأنا أطلُبُهُ مما أعطاهُ الله[*].

---

* ونقول أيضـاً: صح أن الملائكة يشفعون، و الأفراط يشفعون، والأولياء يشفعون والصالحين يشفعون، لكن لا نطلبها منهم إنما نطلبها من الله ﷻ، لا نطلبها من هؤلاء فإن طلبتها من هؤلاء رجعت إلى عبادة الصالحين، لأنك دعوتهم عن شيء لا يقدرون عليه وإنما تسأل الله أن يشفع فيك نبيه، ألا ترى أننا عندما نقوم نصلي على الأطفال إذا ماتوا نقول: (**اللهم اجعله ذخرا لوالديه وفرطا وأجرا وشفيعا مجابا، نسأل الله بأن يجعل هذا الفرط شفيعا مجاباً لوالديه**)[٣]، لا أننا نقول يا فرط اشفع لأهلك، لا، فالمسؤول هو الرب ﷻ، فإن قال: لا أنا أسأل العموم.

نقول: رجعت إلى عبادة الصالحين سواء بسواء، وإذا رجعت إلى عبادة الصالحين أصبحت مشركاً بالله، إنما نحن نعترف بالشفاعة وأن الله أعطاه الشفاعة لكنها ملك لله وأنت مسؤول بأن تطلبها من الله، ثم تصلح عملك التي هي سبب بأن يأذن للشفيع أن يشفع كما في قوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] والله أعلم.

---

(١) كما في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعاً قال: "**فيقول الله تعالى شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط**" رواه مسلم (١٨٣).

(٢) الأفراط هم الأطفال ، روى البخاري في صحيحه (١٢٤٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**ما من الناس من مسلم يُتوفى له ثلاثة لم يبلغن الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم**".

(٣) [أخرجه البيهقي (٤/ ٩-١٠) عن أبي هريرة موقوفاً بإسناد حسن ولفظ الدعاء (اللهم اجعله لنا سلفا وفرطا وذخرا]

[الشبهة السابعة]

[الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك]

فإن قال[١]: أنا لا أشركُ بالله شيئاً حاشا وكلاّ ،ولكنَّ الالتجاءَ إلى الصالحينَ ليسَ بشركٍ[١].

---

(١) ويُقال أيضاً: للمشبه المبطل عندما تناظره فيمن يعبد القبور ويذبح لها ويطلب المدد من أصحابها، تقول له أنت: هذا هو الشرك بعينه، يقول لك هذا المبطل لا، هذا ليس بشرك فإن الالتجاء إلى الصالحين واتخاذهم وسائط ليس بشرك. تقول له أنت: ما هو الشرك إذن؟ ما دمت تقول إن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك، ما هو الشرك عندك؟ ... فهو لا يستطيع.

قل له: الشرك بالله: هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، فمن الخصائص ما هو مستحق لله وحده والذبح والنذر والدعاء والاستغاثة إلى غير ذلك.

فأنت الآن تستغيث بغير الله، وقعت في الشرك، تذبح لغير الله؛ وقعت في الشرك، تطلب المدد من غير الله؛ وقعت في الشرك. وقل له أيضاً: ما تقول في الالتجاء إلى الصالحين؟. يقول: أنه ليس بشرك. قل لـه: القرآن أيضاً أثبت أن الالتجاء إلى الصالحين من الملائكة والنبيين وغيرهم شرك، ألا ترى أن الله يقول: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠] وأنكر سبحانه وتعالى على أصحاب عيسى حين قالوا ما قالوا: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ =

---

(١) هذه الشبهة لم يعثر على شرح الشيخ عليها، فنسق هذا الشرح من كلامه رحمه الله في هذا الكتاب.

فقلْ لـهُ : إذا كنتَ تُقرُّ أن الله حرمَ الشركَ أعظمَ من تحريم الزنا ،وتقرُّ أن الله لا يغفرهُ ، فما هذا الأمر الذي حرمَهُ اللهُ وذكرَ أنَّهُ لا يغفرهُ ؟ فإنه لا يدري.

فقل لـهُ : كيف تبرئُ نفسكَ من الشركِ وأنتَ لا تعرفهُ؟أم كيفَ يُحرمُ عليكَ هذا ويذكرُ أنَّهُ لا يغفرهُ ولا تسألُ عنهُ ولا تعرفهُ؟.

أتظنُ أن الله يُحرمُهُ ولا يبينهُ لنا.

= ﴿مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧] وفي قوله : ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]، وإلى أن قال: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [المائدة: ٧٦]، فالقرآن أبطل الالتجاء بالصالحين وأمر أن ألا يعبد إلا الله ، فشرككم هو عين شرك الأولين سواء بسواء، وبهذا تبطل حجة .. هذا المشبه المبطل وأنه لا حجة له بل حجته داحضة، وأن شركه هو عين شرك الأولين الذين بعث فيهم النبي ﷺ والله أعلم.

[الشبهة الثامنة]

[خصوصية الشرك بعبادة الأصنام]

فإن قال[1]: الشركُ عبادةُ الأصنامِ، ونحنُ لا نعبدُ الأصنامَ.

[الجواب الأول]

فقلْ لهُ: وما معنى عبادةِ الأصنامِ ؟.

أتظنُّ أنهمْ يعتقدونَ أن تلكَ الأخشابَ والأحجارَ تخلقُ وترزقُ وتدبرُ أمرَ من دعاها؟ فهذا يُكذّبُهُ القرآنُ.

[الجواب الثاني]

وإن قالَ: هو من قصدَ خشبةً أو حجراً أو بُنْيَةً على قبرٍ أو غيرهِ يدعونَ ذلكَ ويذبحونَ لهُ ويقولونَ، إنهُ يُقربُنا إلى اللهِ زلفى، ويدفعُ عنا ببركتِهِ، أو يعطينا ببركتِهِ.

فقلْ: صدقتَ، وهذا هو فعلُكمْ عندَ الأحجارِ والأبنيةِ التي على القبورِ وغيرِها.

فهذا أقرَّ أن فعلَهمْ هذا هو عبادةُ الأصنامِ، فهو المطلوبُ.

[الجواب الثالث]

ويُقالُ لهُ أيضاً قولُكَ : الشركُ عبادةُ الأصنامِ ،

هلْ مُرادُكَ أن الشركَ مخصوصٌ بهذا ؟وأن الاعتمادَ على

(١) لم يعثر على شرح الشيخ لهذه الشبهة.

الصالحينَ ودعاءَهُم لا يدخلُ في هذا؟فهذا يردُّهُ ما ذكرَ اللهُ في كتابه من كفرِ من تعلقَ على الملائكةِ أو عيسى أو الصالحينَ.

فلابدَ أن يُقرَّ لكَ: أن من أشركَ في عبادة الله أحـداً من الصالحينَ فهو الشركُ المذكورُ في القرآنِ، وهذا هو المطلوب(*).

---

* ويُقال أيضا للمشبه المبطل عندما تناظره فيمن يعبد القبور ويذبح لها ويطلب المدد من أصحابها، تقول له أنت: هذا هو الشرك بعينه.

يقول لك هذا المبطل لا، هذا ليس بشرك فإن الالتجاء إلى الصالحين واتخاذهم وسائط ليس هذا بشرك، يقول لك هذا.

وتقول له أنت ما هو الشرك إذن؟ مادمت تقول إن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك، ما هو شرك عندك؟ يقول لك: الشرك عبادة الأصنام فقط؟.

قل له أنت: ما معنى عبادة الأصنام؟ فسر لي عبادة الأصنام التي في رأيك أن الشرك منحصر فيها؟.

يقول لك: هو اعتقاد أن الأصنام تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها، هذا هو الشرك.

تقول له أنت: أخطأت، هذا شرك لكن كفار العرب لا يعتقدون هذا الاعتقاد، بل هم معترفون أن الذي يدبر الأمور ويتصرف في هذا العالم هو رب العالمين، لا أنهم يعتقدون بأن أصنامهم تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها، إنما يقولون وسائط بيننا وبين الله، فالقرآن يكذبه قال الله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٨٤] هذا قول المشركين: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] ومع هذا قاتلهم=

=الرسول وسماهم مشركين فمجرد إقرارهم بتوحيد الربوبية لا يدخلهم الإسلام، إذن تنقطع حجته.

فقل له: تعرف أن الالتجاء إلى الصالحين هو الذي كان عليه المشركون في زمن رسول الله، والرسول قاتلهم من أجل أن لا يعبدوا إلا الله وألا يلتجئوا إلا إلى الله، وأن يخلصوا العبادة لله كما دل عليه القرآن العزيز: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦] أي من المشركين ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

وقل له أيضاً: ما تقول في الالتجاء إلى الصالحين؟.

تقول أنت: أنه ليس بشرك.

قل له: القرآن أيضا أثبت أنه شرك. الالتجاء إلى الصالحين من الملائكة والنبيين وغيرهم، ألا ترى أن الله يقول: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠] وأنكر سبحانه وتعالى على أصحاب عيسى حين قالوا ما قالوا: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧] وفي قوله: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ...﴾ [المائدة: ٧٥] إلى أن قال: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا..﴾ [المائدة: ٧٦] فالقرآن أبطل الالتجاء بالصالحين وأمر أن ألا يعبد إلا الله، فشرككم هو عين شرك الأولين سواء بسواء، فالأولون معترفون بتوحيد الربوبية، ومعترفون أن أصنامهم لا=

[حاصل الأجوبة عن الشبهة الثامنة]

وسرُّ المسألةِ: أنهُ إذا قالَ: أنا لا أشركُ باللهِ، فقلْ لـهُ: وما الشركُ باللهِ فسِّرْهُ لي؟.

فإنْ قالَ: هو عبادةُ الأصنامِ، فقلْ: وما معنى عبادةِ الأصنامِ؟ فسِّرْها لي؟.

فإنْ قالَ: أنا لا أعبدُ إلا اللهَ وحدَهُ. فقلْ: ما معنى عبادةِ اللهِ وحدَهُ؟ فسرها لي؟.

فـإنْ فسرها بما بينهُ القرآنُ فهو المطلوبُ، وإنْ لم يعرفْهُ فكيفَ يدعي شيئاً وهو لا يعرفهُ!.

= تخلق ولا ترزق ولا تنفع ولا تضر وإنما اتخذوها وسائط بينهم وبين الله كما اتخذوا الأنبياء وسائط وكما اتخذوا الملائكة وسائط، وكما اتخذوا الأشجار والأحجار وسائط بينهم وبين الله قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾، [النجم: ١٩] لأن العزى شجرة سمر كانت بوادي[١] قرب مكة، كانوا يلتجئون إليها ويسألونها تفريج الكربات بزعمهم أنها ترفع حوائجهم إلى الله، لأن الأشجار مطيعة لله ليست عاصية ومع هذا كفرهم الله سبحانه وتعالى، وقاتلهم النبي ﷺ من أجل أن لا يعبدوا إلا الله وحده لا شريك له، وبهذا تبطل حجة هذا المشبه المبطل وأنه لا حجة له بل حجته داحضة، وأن شركه هو عين شرك الأولين الذين بعث فيهم النبي الله ﷺ والله أعلم.

(١) كلمة غير واضحة ولا يبعد أن تكون اليمني هكذا وقد حدد موقعها الكلبي بقوله: (كانت بواد من نخلة الشامية يقال له حراض بإزاء الغميز على عين المصعد إلى العراق من مكة، وذلك فوق ذات عرق إلى البستان بتسعة أميال) الأصنام ص١٨.

وإن فسرَ ذلك بغير معناه، بينتَ لـهُ الآياتِ الواضحاتِ في معنى الشركِ باللهِ وعبادةِ الأوثانِ، أو أنهُ الذي يفعلُونَ في هذا الزمانِ بعينِهِ، وأن عبادةَ اللهِ وحدَهُ لا شريكَ لـه هي التي ينكرونَ علينا، ويصيحونَ فيهِ كما صاح إخوانُهم حيثُ قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾(*) [ص: ٥].

---

* وسر المسألة هو أن المشبه المبطل إذا قال لك: أنا لا أشرك بالله شيئاً.

فقل له: طيب ما معنى الشرك بالله؟ فسره لي؟.

قال لك: .. الشرك عبادة الأصنام.

فقل له أنت: ما معنى عبادة الأصنام؟ فسرها لي.

فإن قال - انتقل للجواب الثاني -: أنا لا أعبد إلا الله؟.

فقل له أنت: ما معنى عبادة الله فسرها لي؟.

أولاً: تسأله عن الشرك؟ إيش هو الشرك؟.

ثانياً: يفسر لك الشرك بعبادة الأصنام. قل له: ما معنى عبادة الأصنام بينها لي؟.

ينتقل يقول: أنا لا أعبد إلا الله، قل له: ما معنى عبادة الله فسرها لي؟.

إن فسر بالآيات بما يدل عليه القرآن من الآيات الواضحات: فنعم، وإن فسرها بغير ذلك بينت لـه مـا دل عليه القرآن، فإذا قال لا أشرك بالله، وقلت لـه ما الشرك بالله؟ فهو لا يستطيع.

قل لـه: الشرك بالله: هـو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، فمن الخصائص ما هو مستحق لله وحده والذبح والنذر والدعاء والاستغاثة إلى غير ذلك.

فأنت الآن تستغيث بغير الله، وقعت في الشرك، تذبح لغير الله وقعت في الشرك، تطلب المدد من غير الله وقعت في الشرك.

فإن قال: الشرك عبادة الأصنام؟ قل له طيب ما معنى عبادة الأصنام فسرها لي؟. فهو لا يستطيع؟ تقوله له أنت: عبادة الأصنام ليس المعنى أن المشركين يعتقدون بأصنامهم أنها تملك الضر والنفع، لا، هم يعتقدون أن أصنامهم تقربهم إلى الله، ويعتقدون أن النفع والضر والأمور والتدبير بيد الله، إنما أصنامهم جعلوها وسائط فقط، وهذا بعينه هو شرك أهل زماننا سواء بسواء، هذا هو شرك أهل زماننا.

فإن قال لك: أنا لا أعبد إلا الله!.

نقول له: طيب ما معنى عبادة الله؟ أنت تعرف عبادة الله إيش هي؟.

إن فسرها بأن قال: أنا لا أعبد إلا الله، يعني أنا أفرد الله بالعبادة؟.

قل له هذا طيب، كلنا إن شاء الله نفرد الله بالعبادة.

فإن قال: أنا لا أعبد غيره؟ بمعنى أني لا أسجد إلا لله! لأن العبادة عنده السجود كما هو رأي داود بن جرجيس[1].

يقول: إن الشرك هو السجود لغير الله وأما غيره فليس بشرك.

فتقول له أنت: المشركون الذين بعث فيهم الرسول لم يكونوا يسجدون لآلهتهم، نعم يسجدون ولكنهم يذبحون وينذرون ويستغيثون ويطلبون منها المدد، ومع هذا قاتلهم النبي ﷺ. تبين له الآيات الواضحات فإنك متى بينت له مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] قال ابن عباس: (كل ما في القرآن ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾، =

---

(١) داود بن سليمان بن البغدادي النقشبندي الخالدي الشافعي ابن جرجيس من أهل بغداد مولده ووفاته بها وقام برحلات إلى الحجاز والشام وأقام بمكة نحو (١٠) سنوات وله مصنفات ولد سنة ١٢٣١هـ وتوفي سنة ١٢٩٩هـ ويعتبر بن جرجيس من أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وكانت مهمته إثارة الشبه ضد هذه الدعوة حتى ظهر له تلاميذ ومن أشهر كتبه في المنحة الوهبية في الرد على الوهابية وقد رد عليه عبدالرحمن بن حسن في كتابه القول الفصل وغيره. انظر الإعلام (٣٣٢/٢) مقدمة القول الفصل ص٣.

=أو ﴿اتَّقُوا﴾ فالمراد به وحدوا)[١]، فمعنى وحدوا: تقتضي عدم المشاركة ألا يشرك مع الله غيره، فمعنى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] على تفسير حبر الأمة: يا أيها الناس وحدوا ربكم يعني بالعبادة، ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١] أي: إياي وحدون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [النساء: ١] يعني يا أيها الناس وحدوا ربكم، فإن الآيات تدل على توحيد الله بالعبادة وأن الإنسان متى صرف شيء من العبادة لغير الله فقد جعله شريكاً له، فمتى قلت لهم هذا فإنهم يصيحون بك ويطلقون عليك أنك متعنت، وأنك مشرك، وأنك مبتدع، كما صاح إخوانهم من قبل من مشرك العرب حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص: ٥] فمشرك العرب عندهم أن كل من ذُبح لـه وطُلب منه المدد فإنه إله، إلا إنهم يقولون: إن هذه الآلهة صغار بالنسبة إلى الله، وأنهم وسائط وإلا فهم يعرفون أنهم آلهة كما في قوله تعالى لما قال لهم الرسول: "**يا قوم قولوا لا إله إلا الله**"[٢]، لأن لفظة لا إله إلا الله تدل على إثبات العبادة له وتنفي العبادة عمن سواه فهموا هذا، لهذا ردوا عليه قائلين: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾ يعني لا يعبد إلا واحد: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص: ٥] والله أعلم.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده رقم (١٩٠٤) والترمذي ورقمه (٣٢٣٢) من حديث ابن عباس ﷺ وانظر تفسير ابن كثير ٤٦/٧.

[الشبهة التاسعة]

[الكفر خاص بمن نسب الولد إلى الله]

[فإن قال[1]: إنهم لا يكفرون بدعاءِ الملائكةِ، والأنبياءِ، وإنما يكفرون لما قالوا: الملائكةُ بناتُ اللهِ، فإنا لم نقلْ: إن عبد القادرِ ولا غيرَهُ ابن اللهِ؟.

[الجواب الأول]

إن نسبة الولد إلى الله كفرٌ مستقلٌ قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢] والأحدُ: الذي لانظيرَ لـهُ، والصمدُ المقصودُ في الحوائجِ. فمن جحدَ هذا كفر، ولو لم يجحدْ السورةَ(*).

---

* إذا قال لك المشبه المبطل إن الذين يدعون الملائكة ما كفروا إلا لقولهم إنهم بنات الله، هذا هو السبب لكفرهم، أما من استغاث بهم وطلب المدد منهم وجعلهم شفعاء بينهم وبين الله فلا، تقول له أنت: هذا كفر و هذا كفر، كلا الأمرين كفر من زعم أن لله ولداً، سواء كان بنات أو غيره فهو كافر، الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ فقوله ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ أي: لا ولد له ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي ليس له أب ولا أم، هذا معنى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يعني الأحد أي لا نظير له ولا مثيل له ولا سمي لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ قيل الصمـد هو الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها ومهماتها=

---

(١) من هنا إلى قوله: فإذا عرفت.. ساقط من المخطوطة (٦٨/٢٦٩) في المكتبة السعودية، ومن النسخ المطبوعة، سوى طبعة المطبعة السلفية لمحب الدين الخطيب فقد ذكر أنه أكملها من مخطوطة معاصرة لشيخ الإسلام المؤلف ص٨، وهي في خزانة مكتبته الخاصة برقم ٥١٣٨.

[الجواب الثاني]

وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] ففرقَ بين النوعين وجعل كلاً منهما كفراً مستقلاً(*).

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٠] ففرقَ بين كفرين.

=عندما يقع الإنسان في كربة أو يحتاج إلى التفت إلى خالقه وبارئه، فصمد إلى الله بمعنى أنه يُنزل حاجته في الله، فالذي هذه صفته لم يلد ولم يولد، نفى أن يكون له فرع كما نفى أن يكون له أصل فإن الله لا أصل له ولا فرع له، فقوله ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لا فرع له ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي: لا أصل له ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي: لا نظير له ولا سمي له ولا مثيل له.

* قوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١] فالله نفى أن يكون له ولد، بل هو الغني عن كل ما سواه، وكذلك أيضاً من زعم أنهم شفعاء فالله يقول: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤] ويقول: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] سماه الله شركاً، قوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني كأن الله لم يعلم بأحوالكم ولا بمصائبكم ولا بحوائجكم ولا بطلباتكم، أتجعلون بينكم وبينه شفعاء وسائط كأنه لا يعلم بكم، ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

[الجواب الثالث]

والدليلُ على هذا أيضاً: أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونه رجلاً صالحاً لم يجعلوه ابن الله، والذين كفروا بعبادةِ الجن لم يجعلوهم كذلك.

[الجواب الرابع]

وكذلك أيضاً: العلماء في جميع المذاهب الأربعة، يذكرونَ في باب حكم المرتد أن المسلم إذا زعم أن لله ولداً فهو مرتدّ، ويفـرقونَ بين النوعينِ وهذا في غايةِ الوضوح(*).

---

* والعلماء في كل مذهب من المذاهب من أتباع الأئمة الأربعة ألفوا في كتبهم باب حكم المرتد[1]. وهو الذي يكفر بعد إسلامه، فمسوغات الكفر وأسباب الكفر كثيرة، فمن زعم أن لله ولداً فهو كافر، ومن عبد الملائكة فهو كافر، ومن جحد أسماء الله وصفاته التي أثبتها لنفسه في القرآن فهو كافر، ومن قال أن الزنا حلال فهو كافر، ومن قال أيضاً أن الخبز أو التمر حرام، لأن حله مجمع عليه فهو أيضاً كافر مرتد، .. فكل إنسان جحد تحريم أمر مجمع على تحريمه بأن قال: إنه حلال فهو مرتد، أو زعم أن هذا حرام وهو مجمع على إباحته فهو مرتد إلى غير ذلك، فأنواع الردة والكفر كثيرة فلا تقتصر على من زعم أن لله ولداً، بل من زعم أن لله ولداً وأن الملائكة بنات الله أو أنهم شفعاء عند الله، أو أن الأنبياء شفعاء عند الله، أو اتخذهم وسائط بينهم وبين الله، أو جحد أسماء الله وصفاته، فأنواع الكفر وأسباب الردة كثيرة جداً، عقد لها العلماء في كل مذهب باباً في كتبهم قالوا باباً حكم المرتد وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه ثم ذكروا أنواعاً كثيرة كلها موجبة للردة والله أعلم.

---

(١) انظر: على سبيل المثال: زاد المحتاج (١٨٨/٤)، مغني المحتاج (١٣٣/٤) تحفة الحبيب (١٩٩/٤)، المواهب مع التاج (٢٧٦/٦) الأم (٢١٤/٤)، المغني (١٢٨/٨)، الكافي (١٥٥/٤)، الإنصاف (٣٢٦/١٢) الفروع (١٦٤/٦) منح الجليل (٤٦١/٤) البحر الرائق (١١٩/٥) ابن عابدين (١٧٤/٤) الكشاف (١٦٧/٦) نيل الأوطار (٢١٦/٧) وغيرها كثير.

[الشبهة العاشرة]

[أولياء الله لهم جاه عند الله ونحن نسأل الله بجاههم]

وإن قال[١]: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢] [يونس: ٦٢][*]. فقلْ: هـذا هـو الحقُ، ولكن لا يعبدون، ونحنُ لا ننكر[٣] إلا عبادتهم مع الله، وشركَهُم معه[٤]، وإلا فالواجـب عليك

---

*يُستدل بهذا، ليس من لازم أنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أنهم يسألون أو يصرف لهم شيء من العبادة مما هو حق لله تعالى[٥].

---

(١) هذه الشبهة لم يعثر على شرح الشيخ لها.

(٢) أي قال هذا المشرك في هذه الشبهة: "إن للأولياء والصالحين جاه ومكانة عند الله تعالى، ونحن نسأل الله تعالى بجاههم ومكانتهم .هذا مفاد هذه الشبهة.

(٣) كذا في النسخة الخطية التي كتبت سنة ١٢١٣هـ وهي نسخة كاملة، محفوظة في مكتبة جامعة الملك سعود تحت رقم (١٠٦٣م) وهي الصواب خلافا للمطبوع وهي (نذكر).

(٤) أجاب المصنف عليه بقوله: إن ما تقوله حق وهو أن للأولياء والصالحين جاه ومكانة عند الله لكن هذا الجاه والمكانة لا تكون سبباً لعبادتهم من دون الله تعالى، والمصنف لم يتكلم عمن أعطى الصالحين حقهم من المكانة والمنزلة التي شرفهم الله بها. فهذا حسن لاشك فيه. بل الكلام منصب على من عبدهم من دون الله كأن يدعوهم من دون الله فهذا قد فعل فعل المشركين الذين كانوا يدعون اللات. وهو رجل صالح. وغيره فيطبق عليه حكم المرتد.

(٥) هذا منسق من كلام الشيخ.

حبهم، واتباعهم، والإقرار بكراماتهم[1].

(١) الكرامة عرفها شيخ الإسلام رحمه الله في مختصر الفتاوى المصرية ص ٦٠٠ بقوله: (ما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات. ومن أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء قال شيخ الإسلام: (و كرامات الأولياء حق باتفاق أئمة الإسلام والسنة والجماعة، وقد دل عليها القرآن في غير موضع، والأحاديث الصحيحة، والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين، وإنما أنكرها أهل البدع من المعتزلة و الجهمية ومن تابعهم لكن كثيراً ممن يدعيها أو تدعى له يكون كذاباً أو ملبوساً عليه، وأيضاً فإنها لا تدل على عصمة صاحبها ولا على وجوب اتباعه في كل ما يقوله، بل قد تصدر بعض الخوارق من الكشف وغيره عن الكفار والسحرة بمؤاخاتهم للشياطين كما ثبت عن الدجال أنه يقول للسماء أمطري فتمطر، وللأرض أنبتي فتنبت، وأنه يقتل واحداً ثم يحييه، وأنه يخرج خفية كنوز الذهب والفضة، ولهذا اتفق أئمة الدين على أن الرجل لو طار في الهواء ومشى على الماء لم يثبت له ولاية بل ولا إسلام حتى ينظر وقوفه عند الأمر والنهي الذي بعث الله به رسوله ﷺ).

[كرامات الأولياء عند أهل السنة وغيرهم]

ولا يجحدُ كرامات الأولياء إلا أهلُ البدع والضلالات.

ودينُ الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين ،وحقٌّ بين باطلين(*).

---

* فهذا سيد الخلق وأشرف المرسلين وأكرم البرية يقول لأعز الناس عنده بنته فاطمة، والتي هي بضعة منه، وعمه العباس بن عبدالمطلب، وعمته صفية بنت عبدالمطلب، ولعشيرته الأقربين: "يا معشر قريش -أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم (أي: بالإيمان بالله والعمل الصالح) لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً"[1]، فإذا كان سيد المرسلين صرح بأنه لا يغني شيئاً عن سيدة نساء العالمين، ثم انظر فيما وقع في قلوب الناس اليوم فتبين له التوحيد وغربة الدين.

وفي الحديث رد على من تعلق بالأنبياء والصالحين، ورغب إليهم ليشفعوا له وينفعوه أو يدفعوا عنه. كما يدل على أنه لا يجوز أن يسأل العبد إلا بما يقدر عليه من أمور الدنيا، وأما الرحمة والمغفرة والجنة والنجاة من النار ونحو ذلك من كل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فلا يجوز أن يطلب إلا منه تعالى. فإن ما عند الله لا ينال إلا بتجريد التوحيد والإخلاص له بما شرعه لعباده أن يتقربوا به إليه، فإذا كان لا ينفع بنته ولاعمه ولا عمته ولا قرابته، إلا ذلك، فغيرهم أولى وأحرى وفي قصة عمه أبي طالب معتبر. فانظر إلى الواقع الآن من كثير=

---

(١) أخرجه البخاري ورقمه (٢٧٥٣) ومسلم ورقمه (٢٠٦)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

[إثبات أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا]

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا (كبير)[1] الاعتقاد) هو الشرك الذي نزل فيه القرآن، وقاتل رسول

=من الناس من الالتجاء إلى الأموات والتوجه إليهم بالرغبات والرهبات، وهم عاجزون لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً فضلاً عن غيرهم، يتبين لك أنهم ليسوا على شيء، ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ أظهر لهم الشيطان الشرك في قالب محبة الصالحين، وكل صالح يبرأ إلى الله من هذا الشرك في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

ولا ريب أن محبة الصالحين إنما تحصل بموافقتهم في الدين ومتابعتهم في طاعة رب العالمين، لا باتخاذهم أنداداً من دون الله يحبونهم كحب الله، إشراكاً بالله وعبادة لغير الله، وعداوة لله ولرسوله، والصالحين من عباده كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[2] [المائدة: ١١٦-١١٧].

---

(١) هذه اللفظة موجودة في نسخة مجموع مؤلفات الشيخ ص١٦٩ ونسخة العمروي ص٢٩.

(٢) فتاوى ابن حميد ص٢٩٣.

الله ﷺ[1] الناسَ عليهِ.

فاعلمْ أن شركَ الأولينَ[2] أخفُ من شركِ أهلِ زمانِنا[3] بأمرينِ:

أحدهما: أن الأولينَ لا يشركونَ ولا يدعونَ الملائكةَ والأولياءَ والأوثانَ مع الله إلا في الرخاءِ، وأما في الشدةِ فيُخلِصونَ لله الدعاءَ، كما قال تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

---

(١) تقدم قول المصنف من قوله: (وعرفت أن التوحيد الذي جحده هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا (كبير الاعتقاد) فإذا تبين أن هذا هو الشرك الأكبر الذي قاتلهم عليه رسول الله ﷺ وإن سموه بغير اسمه فتسمية الشيء بغير اسمه لا يخرج الشيء عن مسماه.

(٢) أي شرك أهل مكة في زمن النبي ﷺ أخف من شرك المشركين في زمن المصنف وذكر وجه ذلك مع أدلته.

(٣) قال الشيخ عبدالرحمن الدوسري ـ رحمه الله ـ ولقد تفاقم شر الشرك في هذا الزمان ـ أي زمن الشيخ عبدالرحمن ـ ولبس أثواباً غير الأثواب التي عهدها وعالجها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وذريته ـ غفر الله لهم ـ ففي عهدهم وقبله بقرون تمثلت اللات والعزى ومناة ،وذات أنواط وغيرها ، بمقبورين تعسين، وأشجار و مغالات، ونحوها ولكن في هذا الزمان تمثلت اللات والعزى ونحوها بمبادئ قومية ومذاهب مادية وطواغيت وأصنام ناطقة متزعمين لهذه المبادئ والمذاهب التي غدت تتمثل في شخصياتهم وأصبحوا ماهولين بسببها من دون الله. أسلم كثير من الناس وجوههم لهم بكامل الحب والتعظيم الذي لا يحضى به الله منهم، وأصبحوا يتقبلون ما يصدر منهم بكل تسليم وانشراح صدر، زاعمين أنه لا يخالف الدين، وأصبحوا أمناء أقوياء على تنفيذ ما يشرعونه من الأنظمة والقرارات بكل ترحيب وتصميم بل يجعلهم البعض في مصاف الرسل منادياً للرعين بقوله (يا بني الشرق أو يا رسول القرن العشرين، ويا رسول الحرية وغيرها) مما لا نحب ذكره بل يغالي البعض في إطراء بعض الزعماء قائلاً عنه إنه حقق ما لم يحققه محمد ﷺ.[عقيدة الموحدين والرد على الضلال والمبتدعين ص٨٤ من كلام الشيخ عبدالرحمن الدوسري رحمه الله وانظر ما بعده فهو مفيد].

وقولـهُ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١].

وقولـهُ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ٨] وقولُه: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢]، فمن فَهِمَ هذهِ المسألةَ التي وضحها اللهُ في كتابه وهي أن المشركينَ الذين قاتلهمْ رسولُ اللهِ ﷺ يدعونَ اللهَ ويدعونَ غيرَهُ في الرخاءِ، وأما في الضر والشدةِ فلا يدعون إلا اللهَ وحدهُ لاشريكَ لهُ، وينسونَ سادتَهم، تبينَ لهُ الفرقُ بين شركِ أهلِ زمانِنا وشركِ الأولينَ(*)[1].

ولكن أين من يفهمُ قلبُه هذه المسألة فهماً راسخاً؟ واللهُ المستعان.

---

* قد يكون شرك زماننا أغلظ من شرك الأولين، لأن الأولين يخلصون لله في الشدائد، وإنما كانوا يشركون في الرخاء، أما مشركوا زماننا فشركهم دائم في الرخاء والشدة وقال تعالى - هذا في عين المشركين الأولين - ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت]. أما أهل زماننا فعندما يقع أي مصيبة أو في أي كارثة يندب معبوده يا أحمد البدوي يا عبدالقادر أغثني، أغثني واكشف الشدة عني فصار شرك أهل زماننا أغلظ وأعظم من شرك الأولين .. كما هو معلوم والله أعلم.

(١) هذا منسق من شرح الشيخ على هذا الكتاب.

الأمرُ الثاني: أن الأولينَ يدعونَ مع الله أُناساً مُقربينَ عندَ الله إما أنبياءَ وإما أولياءَ وإما ملائكةً، أو يدعونَ أشجاراً أو أحجاراً مُطيعةً لله ليستْ عاصيةً.

وأهلُ زمانِنَا يدعونَ مع الله أُناساً من أفسقِ الناسِ[(١)]، والذين يدعونهم هم الذين يحكُونَ عنهمُ الفجورَ من الزنا، والسرقة، وترك الصلاة، وغير ذلكَ، والذي يعتقدُ في الصالحِ، أو الذي لا يعصي مثلَ الخشبِ والحجرِ، أهونُ ممن يعتقدُ فيمن يُشاهدُ فسقَهُ وفسادَهُ ويشهدُ به[(٢)(٣)].

---

(١) ومن ذلك من يدعو ابن عربي الذي قال فيه أبومحمد بن عبدالسلام: "هو شيخ سوء مقبوح يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجاً" وقال إبراهيم الجعبري: "رأيت ابن عربي وهو شيخ نجس يكذب بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي أرسله الله" [انظر: الفتاوى (٢/٢٤٠)] ومنهم من يدعو العفيف التلمساني الذي قال فيه شيخ الإسلام رحمه الله: "التلمساني أعظمهم تحقيقاً لهذه الزندقة والاتحاد التي انفردوا بها أكفرهم بالله وكتبه ورسله وشرائعه واليوم الآخر" [الفتاوى (٢/١٧٥)]، وفي زمن المصنف رحمه الله من أمثالهم كثير منهم يوسف وشمسان وتاج. [سيأتي ترجمة لهؤلاء فيما بعد والله الموافق].

(٢) لأن الذي يعتقد في الصالح له شبهه، ويستدل لها من كتاب الله بدليل كقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] وإن كانت هذه الشبهة هي أوهى من بيت العنكبوت، بخلاف الذي يدعو الفاسق والفاجر بل الكافر الخارج من ملة الإسلام فهذا ليس له أدنى شبهه فالأمر فيه بين وواضح. وقول المصنف رحمه الله (أهون) أي قد يكون له بعض الشيء من الوجاهة لأن هذا له شبهة وذاك لا شبهة له، ومن هذا القبيل ما قال شيخ الإسلام رحمه الله في كتابه الرد على البكري ص١٢٧: (والخوارج الذين كفروا علياً وعثمان ... متمسكون بظواهر القرآن مع أنهم أعظم الناس جهلاً وابتداعاً وهم مع هذا أظهر حجة وأبين محجة من مثل هذه الضالة (أي البكري) وأمثاله الذي ليس لهم فيما يبتدعونه من الشرك سوى محض البهتان والافتراء والاعتداء.

(٣) كل ما تقدم لم يعثر على شرح الشيخ عليه. فتم التعليق عليه بما يسر الله والله الموفق.

[الشبهة الحادية عشرة]

[من أدى بعض واجبات الدين لا يكون كافراً ولو أتى بما ينافي التوحيد]

إذا تحققتَ أن الذين قاتلَهُم رسولُ الله ﷺ أصحُّ عقولاً وأخفُّ شركاً من هؤلاءِ فاعلمْ أن لهؤلاءِ شبهةً يوردُونها على ما ذكرنا، وهي من أعظمِ شُبَهِهمْ فأصغِ سمعكَ لجوابها.

وهي أنهمْ يقولون: إن الذين نزلَ فيهمُ القرآنُ لا يشهدونَ أن لا إلهَ إلا الله،ويكذبـون الرسـولَ ﷺ، وينكرونَ البعثَ، ويكذبونَ القرآنَ ويجعلونَهُ سحراً، ونحـنُ نشـهدُ أن لاإلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونصدقُ القرآنَ، ونؤمنُ بالبعثِ، ونصلي، ونصومُ، فكيفَ تجعلونَنا مثلَ أولئكَ؟(*).

---

* فإذا تحققت ما تقدم، وقول المشركين على الله، أن المشركين الأولون لا يشهدون أن لا إله إلا الله ولا أن محمداً رسول الله، بل يكذبون الرسول ولا يصومون ولا يصلون وينكرون البعث ويقولون ما هي إلا موته ثم لا نعاد مرة أخرى، ويقولون إن هذا القرآن شعر، أما نحن، فنحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالرسول وبما جاء به ونؤمن بالبعث، فكيف تجعلونا مثل أولئك الذين هذه صفتهم.

يعني أن عباد القبور يقولون: كيف تجعلونا مثل أبو جهل وأُبيّ بن خلف وسائر مشركي العرب، فإنهم قاتلوا الرسول بل كذبوه، وأنكروا البعث، ونحن صدقنا الرسول وآمنا به وآمنا بالبعث ... وهم لا يصلون ولا يصومون، ونحن نصلي ونصوم ونحج، فكيف تجعلونا مثل أولئك؟ بل جعلتمونا أعظم شركا من المشركين الأولين مع وجود الفارق بيننا وبينهم، ما الجواب؟ الجواب يأتيك.

وهو أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن من صدق الرسول في شيء وكذبه في شيء فهو كافر باتفاق المسلمين حتى لو كنت تصلي وتصوم وتؤمن بالقرآن وتصدق بالقرآن لكنك=

[الجواب الأول]

[إجماع العلماء على كفر من آمن ببعض وكفر ببعض]

فالجواب: أنهُ لا خلافَ بين العلماء كلِّهمْ أن الرجلَ إذا صدقَ رسول الله ﷺ في شيءٍ وكذبَهُ في شيءٍ أنهُ كافرٌ لم يدخل في الإسلامِ[1]

=أنكرت البعث، فأنت في الحقيقة مكذب للقرآن، فهو كافر باتفاق المسلمين، أو زعم أنه يصلي ويصوم ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصدق القرآن، لكن يقول إن لله ولداً، فهو مرتد باتفاق المسلمين، أو قال إن هذا شريك لله يشفع له يصرف له ما يصرف لله من العبادة لمكانته وفضله فهذا كافر باتفاق المسلمين، فالإسلام لابد أن يؤمن بكل ما جاء به الرسول لا أنه يؤمن بالبعض ويكفر ببعض قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١] كما يأتي في جواب المصنف وكلامه إن شاء الله والله أعلم.

---

(١) قال شيخ الإسلام رحمه الله: (من آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهو كافر ليس بمؤمن كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢]، [الفتاوى (١١/١٧٠) وانظر مجموع الرسائل والمسائل النجدية (٤/١١)]. وقال ابن حزم رحمه الله: (اتفقوا على أن من لم يؤمن بالله تعالى وبرسوله وبكل ما أتى به عليه السلام مما نُقل عنه نقل الكافة أو شك في التوحيد أو في النبوة أو في محمد أو في حرف مما أتى به عليه السلام أو في الشريعة أتى بها عليه السلام مما نقل كافة فإن جحد شيئاً مما ذكرنا أو شك في شيء منها ومات على ذلك فإنه كافر مشرك مخلد في النار أبداً) [مراتب الإجماع ص١٧٧].

وكذلكَ إذا آمنَ ببعضِ القرآنِ وجحد بعضهُ، كمنْ أقر بالتوحيدِ، والصلاة، وجحدَ وجوب الزكاةِ، أو أقر بهذا كلِّهِ وجحدَ الصومَ، أو أقرَّ بهذا كلهِ وجحدَ الحجَّ[1](*).

---

* ويقال أيضاً لهذا المشبه المبطل[2]: قد عرفت أن من صدق الرسول ﷺ في شيء وكذبه في شيء أنه كافر باتفاق العلماء، فكذلك من صدق الرسول وجحد الصلاة فهذا كافر، أو أقر بالصلاة ولكنه جحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد وجوب الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد وجوب الحج، أو أقر بهذا كله وجحد البعث، فهذا لا يختلف المسلمون في كفره، وجميع المذاهب كلها متفقة على أن هذا كافر، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٨٥]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١][3]، فإذاً يكفر لو صدق الرسول في كل شيء إلا في البعث، أو صدق الرسول في كل شيء إلا في وجوب الزكاة، أو صدق الرسول=

---

(١) قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وهذا الذي اتفق عليه الصحابة هو متفق عليه بين أئمة الإسلام لا ينازعون في ذلك، ومن جحد وجوب بعض الواجبات الظاهرة المتواترة كالصلوات الخمس وصيام رمضان وحج البيت العتيق أو جحد تحريم بعض المحرمات الظاهرة المتواترة: كالفواحش والظلم والخمر .. وغير ذلك أو جحد بعض المباحات الظاهرة المتواترة كالخبز واللحم والنكاح فهو كافر مرتد يستتاب وإلا قتل ...). [انظر: الفتاوى (١١/٤٠٥) وانظر ما بعده].

(٢) هذا الموضع منسق من كلام الشيخ رحمه الله وليس أصلياً فانتبه.

(٣) الفتاوى (١١/١٧٠) وانظر مجموع الرسائل والمسائل النجدية (٤/١١).

ولما لم ينقدْ(*) أناسٌ في زمنِ النبي ﷺ للحجِّ ،أنزلَ الله في حقِهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ

=في كل شيء إلا أنه أباح الزنا، أو صدق الرسول في كل شيء إلا أنه أباح الخمر، هذا مرتد بالاتفاق[1].

* من المعلوم أن الانقياد شرط من شروط كلمة التوحيد فمن لم ينقد فهو كافر كما جاء في حديث صفوان الذي رواه النسائي والترمذي من طريق شعبة عن عمرو ابن مرة عن عبدالله بن سلمة عن صفوان بن عسّال قال: قال يهودي لصاحبه اذهب بنا إلى هذا النبي .. وفيه (..فقبلوا يديه ورجليه وقالوا نشهد إنك نبي، قال فما يمنعكم أن تتبعوني قالوا: إن داود دعا بأن لا يزال من ذريته نبي وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود). قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح[2]. فهؤلاء لم يكونوا مسلمين بذلك لأنهم قالوا ذلك على سبيل الإخبار عما في أنفسهم، أي نعلم ونجزم أنك رسول الله .. فعلم أن مجرد العلم والإخبار عنه ليس بإيمان حتى يتكلم بالإيمان على وجه الإنشاء المتضمن للالتزام والانقياد، مع تضمن ذلك الإخبار عما في=

---

(١) ذكر الإمام ابن جرير في تفسيره (٢٠/٤) عن الضحاك في قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال: لما نزلت آية الحج جمع رسول الله ﷺ أهل الأديان كلهم فقال: "يا أيها الناس إن الله عز وجل كتب عليكم الحج فحجوا"، فآمنت به ملة واحدة، وهي من صدق النبي ﷺ وآمن به، وكفرت به خمس ملل، قالوا: لا نؤمن به ولا نصلي إليه ولا نستقبله فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وأخرج أيضاً من حديث عكرمة مولى ابن عباس فقال: حدثني محمد بن عمرو وقال: ثنا أبوعاصم قال: ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن عكرمة مولى ابن عباس في قول الله عز وجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ فقالت الملل: نحن مسلمون، فأنزل الله عز وجل: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فحج المؤمنون، وقعد الكفار.

(٢) أخرجه الترمذي في الاستئذان والآداب (٢٦٥٧)، وتفسير القرآن (٣٠٦٩) والنسائي (٤٠٧٨) وابن ماجة في الأدب (٣٧٠٥).

﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١] [آل عمران: ٩٧].

=أنفسهم، فالمنافقون قالوا مخبرين كاذبين، فكانوا كفاراً في الباطن، وهؤلاء قالوها غير ملتزمين ولا منقادين، فكانوا كفاراً في الظاهر والباطن وكذلك أبو طالب قد استفاض عنه أنه يعلم بنبوة محمد، وأنشد عنه:

ولقد علمت بأن دين محمد   من خير أديان البرية ديناً

لكن امتنع من الإقرار بالتوحيد والنبوة، حبا لدين سلفه وكراهة أن يعيره قومه فلما لم يقترن بعلمه الباطن الحب والانقياد الذي يمنع ما يضاد ذلك من حب الباطل وكراهة الحق لم يكن مؤمناً)[٢]، وهذا كما يقع أيضاً في كثير من الأحيان من بعض المستشرقين الذين يكتبون البحوث والدراسات في صحة هذا الدين، أو بعض المشتغلين بالعلوم الكونية، عندما يرون إعجاز القرآن الكريم فينطق بعضهم بهذه الكلمة مع بقائه على دين قومه فهؤلاء لا يوصفون بأنهم مسلمين لأنهم لم ينقادوا لهذا الدين ويستسلموا له فلم تنفعهم بحوثهم إلا زيادة في الحسرة وعذاباً في الآخرة نعوذ بالله من ذلك.

---

(١) ما ساقه المؤلف رحمه الله من أن سبب نزول هذه الآية أن أناسا في زمن النبي ﷺ لم ينقادوا للحج لم أجده في كتب التفسير وكتب أسباب النزول وربما أراد المصنف ما ذكره الإمام ابن جرير في تفسيره قال: حدثنا يحى ابن أبي طالب قال: أخبرنا يزيد قال: أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال: لما نزلت آية الحج جمع رسول الله ﷺ أهل الأديان كلهم فقال: "يا أيها الناس إن الله عز وجل كتب عليكم الحج فحجوا"، فآمنت به ملة واحدة، وهي من صدق النبي ﷺ وآمن به، وكفرت به خمس ملل قالوا: لا نؤمن به ولا نصلي إليه ولانستقبله فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وأخرج أيضا من حديث عكرمة مولى ابن عباس فقال: حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن عكرمة مولى ابن عباس في قول الله عز وجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ فقالت الملل: نحن مسلمون، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فحج المؤمنون، وقعد الكفار، فلعل المصنف قصد هذه الأسباب والله تعالى أعلم وأحكم. انظر تفسير ابن جرير (٢٠/٤)].

(٢) راجع مجموع الفتاوى (٥٦١/٧).

ومن أقرَّ بهذا كُلِّهِ وجحدَ البعثَ كفر بالإجماعِ[١] وحلَّ دمُهُ ومالُهُ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾[٢] [النساء: ١٥٠-١٥١] فإذا كان الله قدْ صرحَ في كتابهِ أن من آمنَ ببعض وكفر ببعض فهوَ الكافرُ حقاً وأنهُ ذكر[٣] زالتْ هذهِ الشبهةُ[٤]، وهذهِ التي ذكرها بعضُ أهلِ الأحساءِ[٥] في كتابهِ الذي أرسلَ إلينا[٦].

(١) وقد نقل الاتفاق على كفره شيخ الإسلام ابن تيمية. (انظر: مجموع الفتاوى (٣/٢٣١).

(٢) قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية: (..والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ فوسمهم بأنهم كفار بالله ورسله).

(٣) في قوله سبحانه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ وقوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥].

(٤) التي قالوا فيها أن من أدى بعض واجبات الدين لا يكون كافراً ولو أتى بما ينافي التوحيد.

(٥) الأحساءُ مدينة .معروفة مشهورة كان أول من عمرها وحصنها قصبة هَجَرَ أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنّابي القرمطي ،وهي إلى الآن ،مدينة مشهورة عامرة ..[معجم البلدان للإمام الحموي (١/١١٢) بتصرف يسيرا وقد اشتهر عن أهل الأحساء في زمن الشيخ الغلو في أهل البيت ومسبة أصحاب رسول الله ﷺ وعدم التزام كثير من أصول الدين وفروعه. [مجموع الرسائل (٢/٢/٦)] ومن المعلوم أيضاً أنها كانت آهلة بالعلماء من سائر المذاهب فعاند بعضهم وهدى الله بعضاً فاتبع الحق والهدى بتوفيق الله [قاله ابن مانع في تعليقه على كشف الشبهات ص٢٢ بتصرف يسير].

(٦) لعل المصنف أراد بهذا أحمد بن عبدالكريم، فقد كتب لهذا الرجل رسالة جواباً عما وقع فيه من الاشتباه والإشكال، حيث يفهم من هذه الرسالة أن أحمد بن عبدالكريم تلبس بهذه الشبهة، انظر تاريخ نجد لابن غنام ص٣٤٣.

[الجواب الثاني]

[التوحيد أعظم فريضة فكيف يكفر من جحد الصلاة .. ولا يكفر من جحد التوحيد]

ويقالُ أيضاً : إن كنتَ تقرُّ أن من صدقَ الرسولَ في كلِ شيءٍ وجحدَ وجوبَ الصلاةِ ،أنه كافرٌ حلالُ الدمِ بالإجماعِ ، وكذلكَ إذا أقرَّ بكلِ شيءٍ إلا البعثَ ، وكذلكَ لو جحدَ وجوبَ صومِ رمضانَ ، وصَدَّقَ بذلكَ كلِّه ، لا تختلفُ المذاهبُ فيهِ ،وقدْ نطقَ به القرآنُ كما قدمنا(*).

---

* و يقال أيضاً لهذا المشبه المبطل : قد عرفت أن من صدق الرسول ﷺ في شيء وكذبه في شيء أنه كافر باتفاق العلماء، فكذلك من صدق الرسول وجحد وجوب الصلاة فهذا كافر، أو أقر بالصلاة ولكنه جحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد وجوب الصوم، أو أقر بهذا كله و جحد وجوب الحج، أو أقر بهذا كله وجحد البعث، فهذا لا يختلف المسلمون في كفره، وجميع المذاهب كلها متفقة على أن هذا كافر، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٨٥] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١] فإذا يكفر لو صدق الرسول في كل شيء إلا في البعث أو صدق الرسول في كل شيء إلا في وجوب الزكاة، أو صدق الرسول في كل شيء إلا أنه أباح الزنا أو صدق الرسول في كل شيء إلا أنه أباح الخمر، هذا مرتد بالاتفاق، =

فمعلومٌ أن التوحيدَ هو أعظمُ فريضةٍ جاء بها النبي ﷺ، وهوَ أعظمُ من الصلاةِ والزكاةِ والصومِ والحجِ ، فكيفَ إذا جحدَ الإنسانُ شيئاً من هذِهِ الأمورِ كفرَ !؟ ولو عملَ بكلِ ما جاءَ بِهِ الرسولُ ، وإذا جحدَ التوحيدَ الذي هو دينُ الرسلِ كلِهِمْ لا يكفرُ! سبحانَ الله ! ما أعجبَ هذا الجهلَ !!.

=فكيف نقول لمن جحد التوحيد الذي هو رأس دين الإسلام، وهو رأس دين الرسل من أولهم إلى آخرهم نقول لا يكفر، بأن يعبد غير الله ويطلب المدد من غير الله ويذبح للقبور وينذر لها ويقول المدد المدد يا عبدالقادر أو أغثني أغثني يا أحمد البدوي، ويقول هذا ليس بشرك، هذا هو دين الرسل كلهم يقولون معنى لا إله إلا الله والتي معناها أنها تنفي وتبطل جميع ما يعبد من دون الله وتثبت العبادة لله وحده لا شريك له، فلا يجوز ذبح ولا نذر ولا استغاثة إلا بالله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ أي ذبيحتي: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] وقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] جمع بين العبادة البدنية التي هي الصلاة، والعبادة المالية التي هي الذبح، لا تصلح إلا له، فكيف مع هذا إذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل نقول لا يكفر، ويكفر فيما إذا جحد وجوب فرع من الفروع، لو جحد تحريم الزنا، أو جحد وجوب الصلاة أو مما هو مجمع عليه يكفر، قال الشيخ [أي إمام الدعوة محمد بن عبدالوهاب رحمه الله] (سبحان الله ما أعجب هذا الجهل) ويأتيك لهذا تتمة كما سيأتي في قصة بني حنيفة ومسيلمة وكذلك قصة بني عبيد القداح، والذين حرقهم علي بن أبي طالب كما يأتي بيانه والله أعلم.

[الجواب الثالث]

[قتال الصحابة لبني حنيفة مع أدائهم لبعض واجبات الدين]

ويقال أيضاً: هؤلاءِ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ قاتلوا بني حنيفةَ وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدونَ أن لا إله إلا اللهُ وأن محمداً رسولُ الله، ويؤذنونَ ويصلونَ(*)[1].

---

* ويقال أيضاً رداً للمشبه المبطل الذي يقول: إن دعاء الأموات والغائبين، أو دعاء الحاضرين ليس بشرك، يقال لهم أيضاً:

هؤلاء أصحاب رسول ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويؤذنون ويصلون ويصومون ويزكون ويحجون إلا أنهم يقولون أن مسيلمة نبي فقط، ومع هذا كفرهم الصحابة وقاتلوهم فلم تنفعهم شهادتهم أن لا إله إلا الله ولا شهادتهم أن محمداً رسول الله، ولم تنفعهم صلاتهم ولا زكاتهم ولا صومهم ولا حجهم بل أبطلوا هذا كله بقولهم بأن مسيلمة شريك للرسول في الرسالة، فإذا كان هذا حالة من رفع رجلاً في رتبة الرسول فما ظنك فيمن رفع رجل في رتبة جبار السموات والأرض، ألم يكن هذا أولى بالكفر وأولى بالقتال وذلك*

---

(١) انظر صحيح البخاري (٤٣٧٤) ومسلم (٢٢٧٣) وانظر في تفصيل خبرهم تاريخ الطبري (٢/٢٧٥) والبداية والنهاية (٦/٣١٥) والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص٦٤٢.

= مثل يوسف وشمسان وأمثالهما في نجد فإنه قبل دعوة الشيخ - المؤلف - كان هناك رجل يقال له شمسان، وآخر يقال له يوسف يعتقد الناس فيهم الألوهية، وأنهم يعلمون الغيب، ويعتقدون أن لهم تأثيراً ويأتونهم من كل مكان يسألونهم عن المغيبات، وهنا في الرياض، في مشاغل يقال له ابن جربوع أيضا يزعمون أنه يعلم ما في بطن الحيوان من ذكورية وأنثية، ومع هذا يقال ليسوا بكفار ولا مشركين، الله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]. وهؤلاء يدعون علم الغيب في المستقبل، وهؤلاء يزعمون أنهم يكشفون الضرر ويجلبون النفع، ويجعلوهم في رتبة جبار السموات والأرض ، والصحابة كفروا من جعل مسيلمة في رتبة النبي، بل شريكا للنبي، ومع هذا كفروهم، فكيف لا يكفر من جعل رجلاً في رتبة الله سبحانه وتعالى وصرف له محض حق الله، سبحانه الله ما أعظم شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١] هذا من جملة الأجوبة التي أجاب بها المصنف عما يقوله المشركون في زمانه، وهو أنهم يقولون كيف تجعلونا مثل المشركين الأولين، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونصوم ونصلي ونزكي ونحج ونؤمن بالقرآن، تجعلونا مثل المشركين الأولين؟!.

أجاب الشيخ بما تقدم: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن من صدق الرسول في شيء وكذبه في شيء فهو كافر بإجماع المسلمين، والقرآن قد نطق بهذا، ثم انتقل من هذا الجواب إلى جواب آخر قال إن كل مذهب ذكروا في كتبهم "باب حكم المرتد"، فما تنفعهم صلاتهم ولا زكاتهم ولا صومهم ولا حجهم ولا شهادتهم أن لا إله إلا الله، ولا شهادتهم أن محمداً رسول الله، وهم يقولون مثلاً إن الزنا مباح أو أن الخمر مباح بكلام لو فعلوه معتقدين تحريمه لا يكفرون بل هم عصاة مجرمون، =

فإن قال: إنهمْ يقولونَ إن مسيلمةَ نبيٌّ؟.

قلنا: هـذا هو المطلوبُ، إذا كان من رفعَ رجلاً إلى رتبةِ النبي ﷺ، كفرَ وحلَّ مالُه ودمُه، ولم تنفعْهُ الشهادتانِ ولا الصلاةُ، فكيفَ بمن رفعَ شمسانَ أو يوسفَ، أو صحابياً، أو نبياً، إلى مرتبةِ جبارِ السمواتِ والأرضِ!؟.

سبحان الله ما أعظمَ شأنهُ ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩].

=لكن الذي يعتقد إباحته ولو لم يفعله فهو كافر مرتد باتفاق العلماء، ثم أخذ يستدل على صنيعهم بأن بني حنيفة يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويؤذنون ويصلون ويصومون ويحجون ومع هذا قاتلهم الصحابة.

قلتَ له: لما قاتلهم الصحابة واستحلوا دماءهم وأموالهم؟.

الخصم يقول لك: بأنهم قالوا إن مسيلمة نبي.

قال له أنت: قاتلهم لأجل هذا!.

قال: نعم، وهل يكفرون لأجل هذا؟ سيقول لك: نعم.

كيف يكفرون إذا رفعوا رجلاً في رتبة النبي، ولا يكفرون إذا رفعوا رجلاً في رتبة جبار السموات والأرض، بل هذا أولى بالكفر، سبحان الله ما أعظم شأنه ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١] والله أعلم.

[الجواب الرابع]

[إجماع الصحابة على تكفير وقتل من اعتقد في علي الألوهية مع دعواهم الإسلام]

ويقال أيضاً: الذين حرقهمْ عليُّ بن أبي طالب بالنار، كلُّهمْ يدعونَ الإسلامَ، وهم من أصحابِ عليٍّ ﷺ وتعلموا العلمَ من الصحابة[1]، ولكن اعتقدوا في عليٍّ، مثلَ الاعتقادِ في يوسفَ وشمسانَ وأمثالهما، فكيفَ أجمعَ الصحابةُ على قتلِهم وكفرِهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟.

أتظنون أن الاعتقادَ في تاجٍ وأمثالِه لا يضر، والاعتقادَ في عليِّ بن أبي طالبٍ يُكفر؟(*).

---

* ويقال أيضاً لهؤلاء المشبهين المبطلين الذين حرقهم علي بن أبي طالب ما تقولون فيهم؟.

قل لهم: هذا علي بن أبي طالب حرق من حرق من أصحابه فيما زعموا أنه إله، فهم ادعوا في علي الألوهية، وخد الأخاديد، وأبرم النيران، فكل من زعم أن علياً إله قذفه فيها، فوافقه الصحابة إلا أن ابن عباس قال قتلهم بالسيف أحب إليّ من إحراقهم بالنار[2]، وكان يقول علي ﷺ:

إني لما رأيت الأمر أمراً منكراً ... أججت ناري ودعوت قُنبراً =

---

(١) أثر علي بن أبي طالب أخرجه البخاري ورقمه (٣٠١٧) و (٦٩٢٢) وانظر فتح الباري (١٢/٢٧٠).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (١٣/٣٢): (... الذي قاله ابن عباس هو مذهب أكثر الفقهاء ..).

=قبرا مولى له، دعاء وكل من ظهر له أنه يزعم أن علياً إله قذفه فيها في حين أن هؤلاء تعلموا العلم من الصحابة وجاهدوا مع الصحابة رضي الله عنهم وتعلموا القرآن والسنة إلا أنهم اعتقدوا في علي هذا الاعتقاد مثل اعتقاد زمن الشيخ في تاج وشمسان ويوسف وأمثالهم، ثم قال الشيخ أتظن أن الاعتقاد في فلان وفلان لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر، يعني هذا الاعتقاد يكفر من اعتقده والاعتقاد في شمسان أو في البدوي أو في عبدالقادر لا يضر، هذا من الضلال.

كل هذه أجوبة لشبهة السابق بيانها، حيث يقولون: **كيف تكفروننا ونحن قوم نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونصلي ونصوم ونزكي ونحج ونؤمن بالقرآن، كيف جعلتمونا مثل المشركين الأولين؟**

تُجيبهم بهذه الأجوبة الكثيرة قائلاً لهم:

لا خلاف بين العلماء كلهم أن من صدق الرسول في شيء، وكذبه في شيء أنه كافر إجماعاً وتقول لهم أيضاً في جواب آخر: أن الرسول ﷺ دعا الناس إلى التوحيد وقد ذكر أهل العلم أن من ترك الصلاة يكفر أو جحد وجوب الزكاة يكفر أو جحد وجوب الصوم يكفر ولو فعلها فما ظنك بمن جحد رأس الدين الذي هو التوحيد، والذي جاءت به الرسل. ثم الجواب الآخر تقول لهم: هؤلاء بنو حنيفة، يشهدون أن لا إله إلا الله ويشهدون أن محمداً رسول الله ويؤذنون ويصلون ويصومون ويزكون ويحجون ويصدقون إلا أنهم يقولون إن مسيلمة نبي، ومع هذا كفروا فما نفعتهم تلك الشهادة، مثلكم أنتم تقولون نشهد أن لا إله إلا الله، لكنكم تعبدون القبور، تذبحون لها وتنذرون أبطلت عملكم هذا كله.

وجواب آخر: تقول هذا علي حرق هؤلاء الذين زعموا في علي الألوهية وهم قوم تعلموا العلم من الصحابة وعاصروا الصحابة، يصلون ويزكون ويحجون ويؤمنون بالقرآن، ويجاهدون إلا أنهم ادعوا في علي الألوهية، ومع هذا كفرهم وأحرقهم بالنار بسبب مقالتهم، أتظن أن من دعا البدوي أو دعا عبدالقادر أو السيدة زينب أو الحسين أو السيدة نفيسة وقال المدد المدد أغثني أغثني لا يكفر يعني من اعتقد بعلي يكفر، ومن اعتقد بغيره لا يكفر هذا هو الضلال، ثم تأتيك بقية الأجوبة عن هذه الشبهة مع أن ما قرره مصنف الكتاب وافي شافي في رد شبهتهم لكن هذا مزيد بسط منه رحمه الله، والله أعلم.

[الجواب الخامس]

[إجماع العلماء على كفر بني عُبيد مع إظهارهم الإسلام ؛ لفعلهم ما يناقضه]

ويقالُ أيضاً: بنو عبيدِ القداحِ الذين ملكوا المغربَ ومصرَ في زمان بني العباس[١]، كُلّهم يشهدونَ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله ويدّعونَ الإسلامَ، ويصلونَ الجمعةَ والجماعةَ، فلما أظهروا مخالفةَ الشريعةِ في أشياءَ دون ما نحنُ فيهِ، أجمعَ العلماءُ على كفرِهِمْ وقتالِهم[٢]، وأن بلادَهم بلادُ حربٍ، وغزاهُمُ المسلمونَ حتى استنقذوا

---

(١) انظر في ترجمتهم: سير أعلام النبلاء (١٥/١٤١-١٥١) البداية والنهاية (١١/١٥٢).

(٢) قال الذهبي رحمه الله في السير (١٥/١٥١): (قال القاضي عياض: أجمع العلماء بالقيروان، أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة). وقال أيضاً: (وقد أجمع علماء المغرب على محاربة آل عبيد لما شهروه من الكفر الصراح الذي لاحيلة فيه ..) وقال إمام الدعوة رحمه الله: (...أجمع أهل العلم على أنهم كفار (أي العبيديين) وأن دارهم دار حرب مع إظهار هم شعائر الإسلام وشرائعه، وفي مصر من العلماء والعباد ناس كثير، وأكثر أهل مصر لم يدخل معهم فيما أحدثوه ومع ذلك أجمع العلماء على ما ذكرنا، حتى أن بعض أكابر العلماء المعروفين بالصلاح قال لو معي عشرة أسهم لرميت بواحد النصارى المحاربين، ورميت بالتسعة في بني عبيد، ولما كان في زمن السلطان محمود بن زنكي أرسل إليهم جيشا عظيما فأخذوا مصر من أيديهم ولم يتركوا جهادهم لأجل من فيها من الصالحين، فلما فتحها السلطان فرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً وصنف ابن الجوزي كتابا في ذلك سماه "النصر على مصر" وأكثر العلماء التصنيف والكلام في كفرهم مع ما ذكرنا من إظهار شرائع الإسلام الظاهرة). الدرر السنية (٨/٢١).

ما بأيديهمْ من بلدانِ المسلمين(*).

* وإذا قالوا أيضاً بنو عبيد القداح الذين ملكوا مصر وهم يزعمون أنهم فاطميون، ولكن ليسوا بفاطميين، يزعمون أنهم من أهل البيت، وليسوا كذلك، بل هم مغاربة بعضهم يقول إن أصلهم يهود(١)، جاءوا إلى مصر واستولوا عليها وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وكذلك يصلون ويؤذنون وينصبون القضاة والمفتين، إلا أنهم أظهروا أشياء مخالفين فيه الشريعة الإسلامية فغزاهم المسلمون واستنقذوا ما بأيديهم، واعتبروا أن بلدهم بلاد حرب، وألف العلماء المؤلفات، ومن جملة من ألف ابن الجوزي، ألف كتاباً سماه "النصر على مصر" وذكر فيه أخبارهم، لكن هؤلاء منهم من ذكر المصنف أنهم على هذه الكيفية، وآخرون منهم يدعون أنهم إله، كالمنصور المعتز، يزعم أنه إله، ويكتب على أبواب الجوامع سباً لأبي بكر وعمر، وينكر البعث، وهؤلاء لا شك أنهم كفرة، وبنو عبيد القداح يتلونون بأحكامهم .. تارة يأمرون الناس أن يسجدوا لهم، وتارة يأمرون بعض عمالهم أن يفعلوا في الرجال اللواط الفاحشة، قبحهم الله، ولهم أخبار غريبة تدل على زندقتهم، وتدل على بُعدهم عن الإسلام، لكن المسلمين غزوهم واستنقذوا مصر من أيديهم، وأزالوا آثارهم نهائياً، فإذا كان هذا شأن بني عبيد القداح، فما ظنك فيمن صرف حق الله جل وعلا صرفه إلى غيره، بأن طلب المدد من غيره، وذبح لغيره ونذر لغيره وطلب النفع، ودفع الضرر من غيره وقالوا إنه يملك الدنيا والآخرة كما وقع للبوصيري في البردة حيث زعم أن النبي ﷺ من جوده الدنيا وضرة الدنيا التي هي الآخرة، وأنه يعلم علم اللوح والقلم، وأنه =

---

(١) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٢٨/٣٥): (قد علم أن جمهور الأمة تطعن في نسبهم، ويذكرون أنهم من أولاد المجوس أو اليهود).

[الجواب السادس]

[لا يشترط في التكفير الجمع بين مكفرات عدة، وإلا ما معنى تخصيص العلماء باب حكم المرتد]

ويقالُ أيضاً: إذا كانَ الأولونَ لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بينَ الشركِ وتكذيبَ الرسولِ والقرآنِ، وإنكارِ البعثِ، وغيرِ ذلكَ.

فما معنى البابِ الذي ذكرَ العلماءُ في كلِّ مذهبٍ "بابُ حكمِ المرتدِ" وهو المسلمُ الذي يكفرُ بعدَ إسلامِهِ، ثم ذكروا أنواعاً كلُّ نوعٍ منها يُكَفِّرُ ويحلُّ دمَ الرجلِ ومالَه، حتى أنهم ذكروا أشياءَ يسيرةً عند من فعلها مثلَ

=إذا لم يكن آخذا بيده فإنه يزال، وأنه مآله إلى النار[1].

وأبطل ما كان لله وجعله للنبي ﷺ ومع هذا يقول هذا القول وله من يؤيده ومن يأخذ بقوله حيث أبطلوا الرب وصرفوا محض حقه لغيره، فهؤلاء أولى بالكفر والشرك بأن يطلق عليهم بأنهم مشركون أولى من شرك الأولين الذين بعث فيهم الرسول ﷺ وهذه كلها أدلة على ما أقره المصنف كما تقدم بيانه والله أعلم.

(١) يقول البوصيري فيها:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حدوث الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... إذا الكريم تجلى باسم منتقم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

انظر: كتاب محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ص١٩٤.

كلمةٍ يذكرُها بلسانِه دون قلبه ،أو كلمةٍ يذكرُها على وجهِ المزاحِ واللعبِ(*).

---

* ويقال أيضاً رداً للشبهة السابقة الذين يقولون: كيف تجعلوننا مثل المشركين الأولين ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، و المعنى لو قال لك إنسان ممن يعبد القبر ويذبح لـه، قلت لـه يا أخي: هذا شرك. قال لك بأخي: أنتم تكفرون الناس على غير بصيرة نحن نشهد أن لا إلـه إلا الله ونشهد أن محمداً رسول الله، ونؤذن، ونصلي، ونصوم، ونحج، ونقرأ القرآن، ونؤمن بالبعث، كيف تجعلوننا مثل أناس لا يشهدون أن لا إلـه إلا الله ولا أن محمداً رسول الله، ولا يصدقون القرآن بل يقولون إنه سحر وينكرون البعث تجعلوننا مثل أولئك؟.

نُجيبهم بما تقدم نقول لهم:

أولا: أنتم صرفتم محض حق الله لغيره، والله يقول في من آمن ببعض وكفر ببعض أنهم كفار قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء:١٥٠] لا ينفعك أنك تؤمن بالبعض وتجحد البعض سواء بسواء، فإن الذبح مثلاً عبادة والدعاء لا يصلح إلا لله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ فجمع بين الصلاة والنسك، هذه عبادة بدنية - أي الصلاة، - وهذه عبادة مالية أيضا، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

ثم أيضا تُجاوبه: أن من صدق الرسول في شيء وكذبه في شيء أنه يكفر.

ثم تُجاوبه أيضا: أن بني حنيفة يشهدون أن لا إله إلا الله..إلى آخره إلا أنهم يقولون أن مسيلمة نبي ومع هذا كفرهم الصحابة. =

=ثم تجيبه تقول: أن قوماً كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك. وجعل بعضهم يقولون: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء، يعنون بذلك رسول الله، فأنكر عليهم عوف بن مالك فقال: لأخبرن رسول الله، فذهب ليخبر الرسول فوجد القرآن قد سبقه، فجاءوا معتذرين: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق، فأنزل الله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة:٦٥] وهم يقولون إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق والرسول يقول ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ثم إذن ما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب باب حكم المرتد وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو جحد وحدانيته زعم أن لله ولداً، أو زعم أن لله زوجة حتى لو كان يشهد أن لا إله إلا الله، ويشهد أن محمداً رسول الله ويصلي ويصوم ويتصدق ويزكي ويحج ويصل الأرحام ويؤمن بالبعث، ولكن يقول إن لله زوجة، فهو مرتد باتفاق المسلمين، وكذلك أيضاً من سب الله أو سب رسوله أو سب الدين الإسلامي أيضا فإنه مرتد باتفاق المسلمين، مهما فعل من عبادة، ومهما شهد من شهادة أن لا إله إلا الله لأنه جاء بما يناقضها ويخالفها، أو جحد وجوب فرع مجمع عليه، أو حرم حلالاً مجمع على إباحته، أو أباح أمراً محرماً مجمع على تحريمه، فكله ردة، بل ذكروا أشياء من الكلمات حتى ولو قالها على الوجه المزاح واللعب فإنه يكفر بذلك، بل بالغ بعض الحنفية فيمن صغر مسجد أو صغر اسم مصحف بأن قال مُصيحف على وجه التحقير أنه يكفر، وإن كان يصلي ويصوم ويبكي ويحج ويقوم الليل ويصوم النهار، إذا ساقه على وجه الاحتقار والتصغير والامتهان على تفصيل مذكور في كتب الحنفية وغيرهم والله أعلم.

[الجواب السابع]

[تكفير الله تعالى لمن استهزأ بالرسول وأصحابه مع كونهم يؤدون العبادات]

ويقالُ أيضاً:

الذين قالَ الله فيهِمْ: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ..﴾ [التوبة: ٧٤]، أما سمعتَ أن الله كفرَهُم بكلمةٍ مع كونهِم في زمنِ الرسولِ الله ﷺ يُجاهدونَ معَهُ ويُصلونَ معه ويزكونَ ويحجونَ ويوحدونَ(*). وكذلكَ الذين قالَ الله فيهِمْ ﴿..قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ..﴾[1] [التوبة: ٦٥-٦٦]

---

* ويقال أيضاً للمشبه المبطل: الذين قال الله فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟..﴾ [التوبة: ٧٤].

المعنى أن هؤلاء يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويصومون ويزكون ويجاهدون مع النبي ﷺ ومع هذا كفروا بسبب كلمة قالوها، زعموا أنهم قالوها على وجه المزاح واللعب، وما كفروا ومع هذا كفرهم بهذا.

---

(١) هذه الآية لم يثبت لها سبب نزول كما قال الحافظ ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسيره (١٨٦/٦) بعد أن ذكر ثلاثة أسباب قال: (والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى أخبر عن المنافقين أنهم يحلفون بالله كذباً على كلمة تكلموا بها لم يقولوها، وجائز أن يكون ذلك القول ما روى عن عروة أن الجلاس قال، وجائز أن يكون قاله عبدالله بن أبي سلول، والقول مما ذكر قتادة عنه أنه قال ولا علم لنا بأن ذلك من أي، إذا كان لا خبر بأحدهما يوجب الحجة، ويتوصل به إلى يقين العلم به، وليس مما يدرك علمه بفطرة العقل، فالصواب أن يقال فيه كما قال الله جل ثناؤه ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ﴾)، وقال القرطبي في تفسيره (١٣١/٨): (وقول ثالث أنه قول جميع المنافقين قاله الحسن بن العربي وهو الصحيح لعموم القول ووجود المعنى فيه وفيهم، وجملة ذلك اعتقادهم فيه ﷺ أنه ليس بنبي).

فهؤلاءِ الذين صــرحَ الله فيهم أنهم كفروا بعدَ إيمانهم وهم مع رسولِ الله ﷺ في غزوةِ تبوكَ ، قالوا كلمةً ذكروا أنهم قالوها على وجهِ المزاحِ.

فتأملْ هذهِ الشبهةِ وهي قولُهم :

تُكفرونَ مـن المسلمينَ أناساً يشـهدونَ أن لاإله إلا الله ويصلونَ ويصومونَ ، ثم تأملْ جوابَها فإنهُ من أنفعِ ما في هذهِ الأوراقِ(*).

---

* وذلك أيضا قولهم في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قراءنا هؤلاء أرغب بطوننا ولا أكذب ألسننا ولا أجبن عند اللقاء، يعنون بذلك رسول الله ﷺ وأصحابه، فذهب عوف بن مالك ليخبر الرسول بما قال هؤلاء، فوجد القرآن قد سبقه، نزل عليه، جاء هؤلاء المازحون على حد زعمهم يحلفون بالله أنهم ما قالوها إلا أنهم يقطعون بها عنهم الطريق، ويتحدثون حديث الركب، وقال عوف بن مالك كأني أنظر إلى أحدهم وهو متعلق بحقب ناقة رسول الله ﷺ وإن الحجارة لتنكب رجليه وهو يقول لهم: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة :٦٥] ما يلتفت إليه وما يزيده عليه[1].

أنزل الله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة :٦٦] لهذا تستدل على مشركي زماننا، إن مشركي زماننا يقولون لك: كيف أنتم تكفروننا وتخرجوننا من الإسلام ونحن قوم نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمداً رسول الله ونصلي ونصوم=

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧٣/٦) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٥٤/٣) وابن الجوزي في زاد المسير (٤٦٤/٣) وقال الشيخ مقبل الوادعي في كتابه الصحيح المسند ص٧٨ ،وقد ذكر رواية ابن أبي حاتم (٦٣/٤) ..وقال : " الحديث رجاله رجال الصحيح إلا هشام بن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد بسند حسن عند ابن أبي حاتم (٦٤/٤) من حديث كعب بن مالك).

[الجوابان: الثامن والتاسع]

ومن الدليل على ذلكَ أيضاً: ما حكى اللهُ عن بني إسرائيلَ مع إسلامِهم وعلمِهم وصلاحِهم أنهم قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ

=ونزكي ونحج ونؤمن بالقرآن، كيف تجعلوننا مثل المشركين الأولين الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله بل قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ وينكرون رسالة النبي ﷺ بيننا وبينهم فرق؟.

نجيبهم بهذه الأجوبة نقول لهم:

الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، بل ويزعم أنه إنما قالها على وجه المزح واللعب وما ينفعه جهاده ولا زكاته ولا صومه لأنه جاء بما يناقض ذلك ويخالفه كقصة هؤلاء، وقصة بني عُبيد القداح، وقصة بني حنيفة الذين قاتلهم الصحابة بزعمهم أن مسيلمة شريكاً لمحمد في الرسالة وإلا فهم يشهدون أن لا إله إلا الله مثل هؤلاء، ومثل الذين حرقهم علي، ومثل أيضاً من آمن بجميع ما جاء في القرآن والسنة إلا أنه جحد التوحيد بأن ذبح أو نذر أو طلب المدد من غير الله، أو استنجد بأصحاب القبور وما أشبه فإنه بفعله هذا أبطل شهادة أن لا إله إلا الله، لأنه جاء بما يناقضها ويخالفها وهذا القرآن يقول: ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٦] وهذا الذي عفى الله عنه قالوا إنه ابن حُمير[١]، مخشي بن حُمير لأنه سكت ولكنه أنكر بقلبه وقال قعد بي واسم أبي: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٦] والله أعلم.

---

(١) الإصابة (٦/٧١).

آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وقولُ أناسٍ من الصحابةِ: "اجعلْ لنا ذاتَ أنواطٍ" فحلفَ النبي ﷺ أن هذا نظيرُ قولِ بني إسرائيلَ اجعل لنا إلهاً(*).

* ومن الدليل على ذلك ما حكى الله سبحانه وتعالى عن بني إسرائيل مع علمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى عليه السلام ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] وكذلك أناس من الصحابة قالوا يارسول الله: "اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فحلف رسول الله ﷺ أن قولهم مثل قول بني إسرائيل بأن قال: فلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف ١٣٨-١٤٠] هذا حديث هو حديث أبي واقد الليثي رواه الترمذي وغيره ولفظه: خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، قال وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم - يعني لهم سدرة يجلسون عندها رجاء خيرها وبركتها أي تلك السدرة ويعلقون عليها أسلحتهم - قال أبو واقد: فمررنا بسدرة، وفي رواية "خضراء" فقلنا يارسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط" - أي اجعل لنا ذات أنواط نعكف عندها ونعلق عليها أسلحتنا كما للمشركين ذات أنواط - فقال الرسول ﷺ: "الله أكبر إنها السنن - أي الطرق - قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة"[1].

=

(١) رواه الترمذي وصححه.

=المعنى: أن الرسول كبر الله وعظمه حينما طلب هؤلاء الصحابة وهم حديثوا عهد بإسلام بأن يجعل لهم هذه السدرة -شجرة من سدر- ، ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم رجاء خيرها وبركتها فحلف ﷺ وهو الصادق ولو لم يحلف بأن طلبتهم تلك هي مثل قول بني إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾ فشبه الطلبة بالطلبة، وهم لم يقولوا اجعل لنا إله أبداً إنما قالوا اجعل لنا ذات أنواط، فالصحابة حديثو عهد بالإسلام قالوا اجعل لنا ذات أنواط لم يقولوا اجعل لنا إله كما لهم ذات أنواط، قال الرسول: "الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل أجعل لنا إلها".

[ماذا] استفدنا من هذا؟.

استفدنا من هذا أن العبرة بالحقائق لا بالمسميات، فما دام أنهم يرجون بركت هذه الشجرة ويرجون خيرها فقد اتخذوها آلة، لأن الرسول قال لهم: "قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾ وهم لم يقولوا اجعل لنا إله، إنما قالوا اجعل لنا ذات أنواط بهذا تعرف أن من استنجد بالقبور وذبح لها وطلب المدد منها وطلب بها قائلاً: الغوث الغوث يا حسين أو المدد المدد يا أحمد البدوي أنه جعله إلهاً شاء أم أبى لأن هذا لا يصلح إلا لله فالرسول شبه طَلبة هؤلاء حيث قالوا: اجعل لنا ذات أنواط، لأنهم قالوا اجعل لنا إلها، شبه الطَلبة بالطَلبة وإن اختلف اللفظ، لكن الرسول اعتبر الحقائق دون المسميات.

وفيه دليل على أن هذه الأمة لابد وأن يقع فيها شرك في كل حال..لأن النبي ﷺ قال: "لتتبعن سنن من كان قبلك"[1]. وقد قال البخاري في صحيحه: باب=

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

=تغير الزمان حتى تعبد الأوثان"[١]، ثم ساق بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **"لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس عند ذي الخلصة"**[٢] فهذا يدل على أن الشرك لابد [أن] يقع في هذه الأمة بكل حال، مثل ما وقع في الأمم قبلها، بل قال الرسول: **"لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"** يحذر ما صنعوا)[٣]. مع قوله: **"لتتبعن سنن من كان قبلكم"** مع قوله: **"فلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة"** بل هنا سؤال: قد يقول قائل: أنتم تقولون إن هذه الأمة يقع فيها شرك، والرسول ﷺ كما في صحيح مسلم، جاء في الحديث: **"إن الشيطان أيس أن يعبد في جزيرة العرب"**[٤]، **وأنتم تقولون: إن الشرك يقع؟.**

نقول لك: نعم، الشرك لابد أن يقع في هذه الأمة كما دلت عليه الأحاديث، والجواب عن هذا: إن الشيطان أيس، ليس فيه أن الله هو الذي أيسه بل هو لما رأى الإسلام انتشر، ورأى أن الناس جعلوا يدخلون في دين الله أفواجاً، وأسلمت قبائل العرب، أيس أن يعبد في جزيرة العرب، وليس في الحديث أن الله هو الذي أيسه وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ لأن الله أتم النعمة، يعني أيس أن ترجعوا إلى دينهم وأن توافقهم: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] والله أعلم.

---

(١) فتح الباري (٧٦/١٣) كتاب الفتن، رقم الباب (٢٣).
(٢) أخرجه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦).
(٣) أخرجه البخاري (٤٣٦)، ومسلم (٥١٣)، من حديث عائشة وابن عباس -رضي الله عنهما.
(٤) أخرجه مسلم (٢٨١٢) من حديث جابر ﷺ.

[الشبهة الثانية عشرة]

[أن بعض أصحاب موسى وأصحاب رسول الله لم يكفروا مع شناعة طلبهم]

ولكنَّ للمشركين شبهةً يُدلُونَ بها عندَ هذهِ القصةِ وهيَ أنهم يقولونَ: إن بني إسرائيلَ لم يكفروا بذلكَ، وكذلكَ الذينَ قالوا للنبي ﷺ: "اجعل لنا ذاتَ أنواط"[1] لم يكفروا.

فالجوابُ أن نقولَ: إن بني إسرائيلَ لم يفعلوا ذلك، وكذلكَ الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا ذلك، ولا خلافَ في أن بني إسرائيلَ لم يفعلوا ذلكَ، ولو فعلوا ذلكَ لكفروا، وكذلك لا خلافَ في أن الذين نهاهُم النبيُّ ﷺ لو لم يطيعوهُ واتخذوا ذاتَ أنواطٍ بعدَ نهيِهِ لكفروا، وهذا هو المطلوب(*).

---

* ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة وهي: قول الصحابة للنبي ﷺ لأنهم حديثو عهد بإسلام، قالوا يا رسول الله: "اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، قال الرسول ﷺ: "**الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى، اجعل لنا إله كما له آلهة**" فشبه الطلبة بالطلبة، وإن كان اختلف اللفظ، فبنوا إسرائيل، قالوا: اجعل لنا إلهاً، والذين مع الرسول يوم حنين لم يقولوا اجعل لنا إلهاً بل قالوا اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

شبهة المشركين يقولون: أنتم تكفروننا والرسول لم يكفرهم، وبنو إسرائيل لم يكفروا، الذين قالوا لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، والذين قالوا للرسول اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط لم يكفرهم، فأنتم الآن تكفروننا، كيف تستدلون علينا بما لا دلالة لكم فيه؟. =

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٢) من حديث جابر ﷺ.

[فوائد من حديث أبي واقد الليثي]

ولكنَ هذهِ القصةَ تفيدُ: أن المسلمَ - بل العالِمَ - قد يقعُ في أنواعٍ من الشركِ لا يدري عنها، فتفيدُ التعلمَ والتحرزَ.

ومعرفةَ أن قولَ الجاهلِ: التوحيدَ فهمناهُ، أن هذا من أكبرِ الجهلِ ومكايدِ الشيطانِ.

وتفيدُ أيضاً: أن المسلمَ المجتهدَ إذا تكلمَ بكلامِ كُفرٍ، وهو لا يدري فنبِّه على ذلكَ فتابَ من ساعتِه أنه لا يكفرُ كما فعلَ بنو إسرائيلَ، والذين سألوا النبي ﷺ(*).

=يقول المصنف نقول لهم: أنتم فعلتم واتخذتم القبور من دون الله، وهؤلاء لم يفعلوا، بل قالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، فنهاهم نبيهم موسى ولم يتخذوا إلها كما اتخذتم، ولو اتخذوا إلها من دون الله لكفروا، وكذلك الذين مع النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط عاصين لـه، لكفروا، ولكنه لم نهاهم انتهوا، فأنتم ننهاكم ولم تنتهوا، بل اتخذتم ما تعتقدون بركته، وتعتقدون أنه يشفع لكم عند الله، ويرفع حوائجكم إليه زاعمين أنه واسطة بينكم وبين الله، ففرق بينكم وبين من سبقكم، فرسلهم نهوهم فانتهوا، وأنتم لم تنتهوا، فلو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط لكفروا، ولكنهم لم يتخذوا بعد نهي النبي ﷺ لهم، ففرق بين فعلكم وفعلهم وعملكم عملهم والله أعلم.

* وهذه القصة تفيد أمور. يعني قصة بني إسرائيل حين قالوا لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، وقول بعض الصحابة: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.
[ماذا] تفيد ؟. =

=يقول: تفيد المسلم بل العالم أن الجهل بالتوحيد وعدم معرفته من أعظم الأشياء، وأن قول الجاهل التوحيد فهمناه، مما يدل على أنه لا يفهمه، إذا كان هذا قول الصحابة والنبي بين أظهرهم، وقول بني إسرائيل وموسى بين أظهرهم، وما فهموا هذا، فكيف تفهمون بدون تعلم؟ فالوقت يستدعي زمنا طويلاً: لمعرفة التوحيد، ومعرفة ما ينافيه، ومعرفة ما ينافي كماله من الشرك الأصغر، ومعرفة ما يقدح في التوحيد من البدع، ومعرفة ما يُنقص ثواب التوحيد من المعاصي، ومعرفة ذرائع الشرك ووسائله الموصلة إلى الشرك أو المقربة منه المنافية للتوحيد أو لكمال التوحيد أو القادحة في التوحيد أو المنقصة لثواب التوحيد.

فقول الجاهل التوحيد فهمناه، هذا من أكبر الجهل، وأعظم مكائد الشيطان، يظن أنه فهم وهو لم يفهم، فقد يتكلم بالكلمة لا يريد معناها، بل على وجه الجهل كما فعل الصحابة إذا قالوا اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

ويدل على أن الإنسان إذا تاب من ساعته، يعني لو تكلم بكلمة كفر ثم تاب من ساعته، فإنه لا يضره، مادام أنه قالها جهلاً، فإذا قالها جهلا وتاب من ساعته فإنها لا تضره.

ثم تفيد على أنه لو قالها جهلا وتاب ينبغي أن يغلظ عليه من أجل أن يكون وقعها في القلوب عظيم، فإذا أنكرت عليه انكاراً شديداً مغلظاً عليه لهذا الكلمة التي تكلم بها يكون أوقع في قلبه من أنه ارتكب جريمة، ولا سيما الكلمات التي تؤدي إلى الكفر فهذه لابد من التغليظ في الانكار فيها، وأنه إذا تاب من ساعته فإنها لا تضره إذا كان قالها أو فعلها عن جهل كما وقع لبني إسرائيل فقد وقع كثير من مثل هذا لبعض العلماء، فإنهم يتساهلون بأشياء وهي عظيمة ويعظمون أشياء وهي أسهل كما وقع لبعض الحنفية فإنهم يقولون إن الإيمان هو مجرد التصديق، والأعمال ليست من الإيمان، بحيث إذا زال الإيمان بالكلية.

[الشبهة الثالثة عشرة]

[من أتى بالتوحيد فإنه لا يكفر ولو فعل ما يناقضه]

وللمشركين شبهة أخرى يقولون:

إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: لا إله إلا الله، وقال له: "أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟"[(١)] وكذلك قوله: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله"[(٢)]، وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها، ومراد هؤلاء الجهلة: أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل[(*)].

---

* هؤلاء المشبهون لهم شبهة أخرى وهي .. أن النبي ﷺ أنكر على أسامة بن زيد قتل من قال لا إله إلا الله، وذلك أن أسامة قتل رجلاً من المشركين بعدما قال لا إله إلا الله، فعلم النبي ﷺ بذلك فأنكر على أسامة، فقال لأسامة: **"أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله"** قال يا رسول الله: ما قالها إلا تعوذاً لما رأى بريق السيف، قال: **"أشققت عن قلبه"**، **أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله"**، قال يا رسول الله: لم يقلها إلا تعوذاً، يعني خوفاً من السيف، قال: **"وكيف تصنع بلا إله إلا الله يوم القيامة"**، قال أسامة: والله إني تمنيت أني ما أسلمت إلا يومئذ.

هذه قصة أسامة، استدل بهذا على أن من قال لا إله إلا الله يجب الكف عنه يعني في وقتنا هذا، وكذلك استدلوا بحديث: **"أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله"** إلى غير ذلك من الأحاديث التي فيها الكف عمن قال لا إله إلا الله، فالمعنى أن مشركي زماننا يقولون كيف تكفروننا ونحن نقول لا إله إلا الله، والرسول أنكر =

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

=على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله، وعنف عليه حتى قال: **"أشققت عن قلبه"**، وقال له: **"كيف تصنع بلا إله إلا الله يوم القيامة"**، وأنتم تكفروننا ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

تقول لهم: المشركون الأولون يعرفون معناها ولستم كمثلهم، فهم لما قيل لهم قولوا لا إله إلا الله امتنعوا قائلين: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] يعرفون أن معناها هو إفراد الله بالعبادة، ونفي عبادة ما سواه يعرفون هذا، فلما قالها أنكر الرسول على أسامة: كيف قتلته بعدما قال لا إله إلا الله، بل ينظر هل يأتي بما يخالفها ويناقضها أم لا؟ هذا المعنى.

وحديث: **"أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها"** دل على أنه لو قالها إذا خالف حقها أو ناقض حقها، أو لم يأت بشيء من حقها فإنه يقاتل، فمشركوا زماننا بل اليهود والنصارى يقولون لا إله إلا الله ومع هذا لم تنفعهم، لأنهم يبطلونها، فهم يعبدون القبور، وبالنسبة لمشركي هذه الأمة يعبدون هذه القبور، يعبدون الصالحين، يسألونهم المدد من دون الله، يجعلونهم وسائط بينهم وبين الله، فهم لا يعملوا بلا إله إلا الله، بل ينطقون بها لفظاً ويخالفونها معناً وفعلاً، فما نفعتهم.

أما قصة أسامة فهذا الرجل لم يقلها إلا لأنه يعرف معناها، وأنكر عليه الرسول قتله، بل ينظر هل يؤدي معناها، لأنهم يعرفونها ويعرفون ما دلت عليه بخلاف أهل زماننا، ثم هم[1] يقولون لا إله إلا الله ويزعمون أن لله صاحبة، ويزعمون أن لله ولداً، ويسبون الدين الإسلامي وهم يقولون لا إله إلا الله لا تنفعهم، من جنس الإنسان الذي توضأ ثم قام يصلي وأحدث فهل تنفعه صلاته مع وجود الحدث؟! فكذلك لا تنفعه لا إله إلا الله مع وجود الحدث الذي ينافيها وهو الشرك بالله أو أنه جاء بما يناقض لا إله إلا الله، والله أعلم.

---

(١) أي اليهود والنصارى.

[الجواب المجمل]

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون: لا إله إلا الله، وأن أصحاب رسول الله قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدعون الإسلام(*).

---

* فيقال لهؤلاء المشركين الضالين: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم واستباح دماءهم وأموالهم، وسبا ذراريهم وقتل مقاتليهم وهم يقولون لا إله إلا الله، ماذا تنفع لا إله إلا الله إذا جاء بما يناقضها ويخالفها!! فها أنتم نعم تقولون لا إله إلا الله ولكنكم تذبحون للقبور وتسألونها من دون الله وتجعلونها وسائط بينكم وبين الله فقد نقضتم لا إله إلا الله.

فاليهود يقولونها، ومع هذا قاتلهم الرسول ﷺ وسبأ نسائهم وذراريهم وأموالهم، وقتل مقاتليهم كما هو معروف، لأنهم لم يسلموا في الحقيقة، فالنطق بها مع تخلف معناها والعمل بمقتضاها لا ينفع، كذلك بنو حنيفة قاتلهم الصحابة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويؤذنون ويصلون ويصومون ويزكون ويحجون ويعملون بشرائع الإسلام إلا أنهم قالوا إن مسيلمة شريك لمحمد في الرسالة، فهل نفعتهم صلاتهم، وزكاتهم وشهادتهم أن لا إله إلا الله؟ لأنهم أبطلوها وجاءوا بما يخالفها من زعمهم أن مسيلمة شريك للرسول في الرسالة.

فها أنتم نعم تقولون لا إله إلا الله وتصومون وتصلون وتحجون – تقول لهؤلاء المشركين – لكنكم صرفتم محض حق الله لغيره واتخذتموهم وسائط بينكم وبين الله، والله سبحانه وتعالى لم يرض أن يكون بينه وبينكم أي واسطة، تقولون أنهم شفعاء لنا والله يقول: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]، ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ...﴾ [سبأ: ٢٣]، فأبطلتم معنى لا إله إلا الله.

وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب ﷺ بالنار، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعاً من الفروع؟ وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه، ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث(*).

[بداية الجواب المفصل]

فأما حديث أسامة:

فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ...﴾[1] [النساء: ٩٤] أي: فتثبتوا، فالآية تدل على أنه

* ثم يقال لهم أيضاً: الذين حرقهم علي بن أبي طالب ﷺ يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويؤذنون ويصلون ويزكون ويقرأون القرآن ويصومون لكنهم يقولون إن علياً إله مثل ما تقولون أنهم وسائط، وجعلتموهم آلهة أخرى مع الله، وأحرقهم بالنار، أخذا الأخاديد في أفواه السكك وقذفهم فيها، فوافقه الصحابة إلا ابن عباس أنكر على عليّ قتلهم بالنار، لأن النار لا يعذب بها إلا رب النار، "فهلا قتلتهم بالسيف"[2].

(١) انظر في سبب النزول تفسير ابن كثير (٢/٣٣٦) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٢١٦) والصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل الوادعي ص٥٢.

(٢) تقدم تخريج القصة.

يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقولــه تعــالى: ﴿فَتَبَيَّنُوٓا﴾ ولو كان يقتل إذا قالها لــم يكن للتثبت معنى(*)، وكذلك الحديثُ الآخر وأمثاله، معناه ما ذكرناه: أن من أظهرَ التوحيدَ والإسلامَ وجبَ الكفُ عنه إلى أن تبين منه ما يناقض ذلك،

---

* ثم تجيب أيضاً عن حديث أسامة الذي استدل به مشركوا زماننا لأن مشركي زماننا يقولون أنتم تكفروننا ونحن نقول لا إله إلا الله، وهذا أسامة أنكر عليه الرسول حينما قتل رجلاً قال له: لا إله إلا الله، قال الرسول: "فهلا شققت عن قلبه؟" حينما قال: "إنما قالها تعوذاً"، قال: "كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءتك يوم القيمة؟".

تجيبه تقول: أما حديث أسامة: فنعم أسامة قتل رجلاً قال لا إله إلا الله وأنكر عليه الرسول، لكن مشركي العرب يعرفون معنى لا إله إلا الله، فالرسول أنكر على أسامة قتله، بل يؤجل حتى ينظر؛ هل يأتي بما يناقض لا إله إلا الله؟ فنعم يقتل، و[إن] لم يأت بما يناقضها أصبح مسلماً مؤمناً، أما أنتم [فإنكم] تأتون ما يناقضها وينافي معناها، لأن معناها – لا إله إلا الله – أي لا معبود في الأرض ولا في السماء بحق إلا الله، أنتم تقولــون لا إله إلا الله وجعلتم معــه معبوداً غيره، ترجونه وتسألونه وتتخذونه واسطة بينكم وبين الله، هذا هو إله بعينه.

ولما قتل أسامة ذلك الرجل الذي قال لا إله إلا الله وأنكر عليه الرسول أنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [النساء: ٩٤] فقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ أي تثبتوا، يأمر أسامة أن يثبت، وأن لا يبادر بقتله حتى ينظر حالة هذا الرجل الذي قالها، هل قالها تعوذاً من القتل وخوفاً منه؟=

=أم قالها حقيقة مؤمناً بها معتقداً معناها وما دلت عليه فنعم، هذا هو معنى الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ أي تثبتوا فالله يأمر بأن نتثبت وأن لا نبادر في تكفيره حتى يأتي منه ما يناقض لا إله إلا الله، فنجد الآن كثيراً من الأمصار يبنون على القبور الأبنية يستنجدون بها، يسألونها تفريج الكربات وإغاثة اللهفات، المدد يا عبدالقادر، أغثني يا أحمد البدوي، اكشف الشدة عني، نسي الله تعالى، نجد في الكتب المترجمة لأحمد البدوي أشياء غريبة ينسبونها إلى أحمد البدوي، قالوا من مناقبه وفضائله أنه صعد سطح المسجد وبقي أربعين يوماً وعيناه تتقدان كالجمرتين متجهاً بهما نحو السماء يعني لم يصل، يقولون: ولم يفعل شيئاً أربعين يوماً! عيناه إلى السماء! حدث العاقل بما لا يليق، الرسول أفضل منه، وأفضل المخلوقين ما جرى له شيء من هذا. ثم أيضاً يقولون: من مناقبه: أن امرأة كانت في المغرب ولها طفل صغير في مهده، وقد وضعته في الأرض وهي قريبة منه، إذ جاء ثور فحمل الطفل [وتعلق] مهاده في قرن الثور فركض الثور والمرأة تركض وراءه كي تخلص ولدها من قرن الثور، فلم تستطع لقوة الثور وشدة عدوه، وجعلت تقول يا أحمد البدوي أغثني، يا أحمد البدوي – وهو ميت من سنين في مصر – ومد يده إلى الثور وأخذ ولدها وأعطاها إياه، ويقولون: لا إله إلا الله تنفع! كل هذا من الخرافات والأشياء التي يستحي العاقل ذكرها فضلاً عن كونهم يؤلفون فيها المؤلفات، ويكتبونها في الكتب، وهذا مما يدنس الورق، ويلوث الأقلام، ومثل ما يقولون في ترجمة عبدالقادر الجيلاني، يدعونه ويسألونه ويستقبلونه حتى في دعائهم، يقولون إنه لما كان في المهد؛ لما وضعته أمه، كانوا يعرفون دخول شهر رمضان وإن لم ير الهلال منه، كيف عرفوه؟ قالوا: إذا دخل رمضان ما يرضع فهو=

والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ هو الذي قال: "أقتله بعد ما قال لا إله إلا الله؟" وقال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" هو الذي قال في الخوارج: "أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد"[١] مع كونهم من أكثر الناس عبادة، وتهليلاً وتسبيحاً، حتى أن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة، وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، قتال الصحابة بني حنيفة، وكذلك أراد ﷺ أن

=يصوم، فإذا لرفض الشدي! عرفنا أن رمضان دخل!! هكذا ذكروا في ترجمته مثل هذه الخرافات والسخافات علقوا بها دينهم وتعلقوا بهؤلاء، ونسوا رب العالمين الذي بيده الضر والنفع والذي بيده الإحياء والإماتة والخفض والرفع والصلة والقطع والمنع، إلى غير ذلك، الله سبحانه وتعالى يقول لمحمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ ما عندي إلا البلاغ وتأدية الرسالة ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ [الجن: ٢١-٢٤]، إلى آخر الآية والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري ورقمه (٦٩٣٠ و٦٩٣١) ومسلم ورقمه (١٠٦٦) من حديث علي بن أبي طالب ﷺ وفيه: "سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فإينما لقيتموهم فاقتلوهم" هذا لفظ البخاري رحمه الله.

يغـزو بـين المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ..﴾[الحجرات: ٦]، وكـان الـرجل كاذبـاً عليهم. فكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه(*)(١).

---

* وتستدل أيضاً على مشركي زماننا، وأن مجرد لا إله إلا الله لا تنفعهم، لأنهم يأتون بما يناقضها ويخالفها، تستدل عليهم بقصة أسامة السابق بيانها، وكذلك أيضاً بقتال الصحابة لبني حنيفة، وقتال علي ﷺ للذين أحرقهم بالنار، وقتال المسلمين لبني عبيد القداح، وهم ينصبون القضاة والمفتين ويصلون جمعة وجماعة، ويدعون الإسلام، إلا أنهم أظهروا أشياء خالفوا فيها الشريعة فما نفعهم ما كانوا يؤدونه منها، وكذلك أيضاً قصة الخوارج، فالنبي ﷺ أنكر على أسامة حين قتل من قال لا إله إلا الله مع قوله: **"يأتي بعدكم أناس تحقرون صلاتكم عند صلاتهم وقراءتكم عند قراءتهم أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد"** فهو يعرف أنهم يقولون لا إله إلا الله، أظهروا مخالفـة أشياء في الشريعة فما نفعتهم لا إله إلا الله، لأنهم كفروا الناس بالذنوب، ولأنه استحلوا دماء المسلمين بشبهة عرضة لهم، ومع هذا قال الرسول ﷺ:

"لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد" وقال: **"أينما لُقيتموهم فقتلوهم"** وكذلك قصة بني المصطلق، فالنبي ﷺ بعث إليهم خالـد بن الوليد لما أخبره رجل بأنهم منعوا =

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٧٩/٤)، وقال في المجمع (١١١/٧): رواه أحمد ورجاله ثقات.

=الزكاة جاءهم خالد ومعه قوم من المسلمين، فقالوا صبأنا، يعني بمعنى أسلمنا، ولكنه قاتلهم وكان الرجل كاذباً عليهم فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ أي تثبتوا ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦][1].

وجه الدلالة من القصة:

هو أنهم مسلمون يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لكن لما أخبر الرسول بأنهم منعوا الزكاة قاتلهم، فما عصمت دماءهم لا إله إلا الله.

وقول الرسول ﷺ: **"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله"** وفي رواية: **"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويأتوا الزكاة، فإذا قالوها - يعني لا إله إلا الله - عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها"** يعني أن أبطلوا شيئاً من حقوق لا إله إلا الله قاتلهم، إلا إذا أدوها بحقوقها فلا سبيل لنا عليهم.

ثم قال: **"وحسابهم على الله"**، يعني إذا أظهروا لنا الإسلام والتزموا شعائره حساب الخلق إلى الله، هو الذي يعلم ما تكنه الصدور والضمائر وهو الذي يعلم مخبئات السرائر، فسرائر الخلق إلى الله، فليس لنا إلا الظاهر، هذا معنى قول الرسول: **"وحسابهم على الله عز وجل"** والله أعلم.

---

(١) انظر جامع البيان (١٣/١٢٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٠٤-٢٠٥) والقصة ليس فيها قتال خالد لهم وإنما هم بقتالهم ولم يقاتلهم لتبين كذب المخبر عنهم وهو الوليد بن عقبة ولعل الشيخ رحمه الله أراد سرية خالد ﷺ إلى بني جذيمة فهم الذين قالوا صبأنا وحصل ما حصل من قتل خالد لبعضهم .. انظر القصة في كتاب السرايا والبعوث النبوية ص٢٤٨ والله أعلم.

[الشبهة الرابعة عشر]

[إذا جازت الاستغاثة بالأنبياء في الآخرة فمن باب أولى أن تجوز في الدنيا]

ولهمْ شُبهةٌ أُخرى: وهو ما ذكرَ النبيُّ ﷺ أن الناسَ يومَ القيامة يستغيثون بآدم، ثمَّ بنوح، ثمَّ بإبراهيمَ، ثم بموسى، ثم بعيسى، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى الرسول ﷺ[1]، قالوا فهذا يدلُّ على أن الاستغاثة بغير الله ليستْ شركاً.

فالجواب أن نقول: سبحانَ من طبعَ على قلوب أعدائه، فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدرُ عليه لا نُنكرها، كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥]، وكما يستغيثُ الإنسانُ بأصحابه في الحرب أو غيرِه في أشياءَ يقدرُ عليها المخلوق، ونحنُ أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياءِ التي لا يقدرُ عليها إلا الله. إذا ثبتَ ذلك: فالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة، يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهلُ الجنة من كرب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة، وذلك أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك

(١) أخرجه البخاري ورقمه (٦٥٦٥)، ومسلم (٥٦/٢)، بشرح النووي، من حديث أنس بن مالك ﷺ.

ويسمع كلامك تقول له ادع الله لي كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه ذلك في حياته، وأما بعد موته فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره، فكيف بدعائه نفسه(*).

---

* هذا جواب عما أورده المشبه المشرك الذي يستغيث بغير الله، ويطلب المدد من غير الله، أنكرت عليه وقلت له: هذا شرك، لا تسأل إلا الله، لا تستغيث إلا بالله، قال لك: بما تقدم ألم يثبت أن النبي ﷺ قال: "إن الناس يأتون آدم فيقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته..." إلى آخره: "أشفع لنا عند ربك يرحنا من كرب هذا الموقف"[1] .. وهذه استغاثة؟.

تقول لهم أنت: نعم هذا صحيح، لكن هؤلاء المستغيثون يتشبثون بأناس حاضرين لهم مكانة عند الله، يطلبون منهم أن يسألوا الله لهم، ونحن لا ننكر هذا، فأنت لو استغثت بمخلوق حاضر يستطيع أن يغيثك لا بأس، كما لو أقبل عليك أسد يريد أن يفترسك، وبجانبك أو حولك إنسان معه بندقية قلت يا فلان أغثني .. لا بأس قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] أو ظالم جاء يريد أخذ مالك، وعندك إنسان يستطيع أن يساعدك فلا مانع أن تقول أغثني. كذلك أيضاً تطلب الدعاء منه لا بأس. أما طلبك الدعاء من الميت فهذا لا، أو طلبك الشفاعة من الميت أو الغائب لا. أما الحي الحاضر تقول يا أخي ادع الله لي، يا أخي لا تنسنا من صالح دعائك، كما كان الصحابة رضي الله عنهم يأتون النبي ﷺ في حياته ويسألونه أن يدعوا لهم، فيدعوا لهم، وكذلك أيضاً يسألونه أن يسأل الله أن يقضي حوائجهم، أما بعد وفاته فحاشى وكلا، لا يمكن أن تجد ولا حرفاً=

---

(١) رواه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣)، من حديث أنس ﷺ.

[الشبهة الخامسة عشرة]

[عرض جبريل على إبراهيم أن يغيثه فلو كان ذلك شركاً لما فعله]

ولهم شبهةٌ أخرى: وهي قصةُ إبراهيمَ لما أُلقيَ في النار، اعترضَ لهُ جبريلُ في الهواء فقالَ له: ألكَ حاجةٌ؟ فقالَ إبراهيمُ أما إليكَ فلا[(١)].

=واحداً أن أحداً من الصحابة جاء إلى قبر الرسول وقال يا رسول الله أدعو الله، أو قال يا رسول الله اشفع لي، أبداً لا يمكن أن تجد هذا وإنما تسأل الله، في حياته [لا بأس]، أما بعد وفاته فلا.

فبهذا تبطل شبهة هذا المشبه الذي يقول إن الاستغاثة بالمخلوقين فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو الاستغاثة بالأموات والغائبين أنها جائزة، بل [إن ما قلته] هو الشرك بعينه، لأن من استغثت به لا يستطيع أن يغيثك ولا أن ينفعك ولا أن يدفع عنك ضرراً، وإنما اطلب الغوث من الله سبحانه وتعالى بهذا تبطل شبهته كما تقدم والله أعلم.

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤٥/١٧)، وفي تاريخه (١٤٨/١)، من طريق الحسين قال حدثنا المعتمر بن سليمان التيمي عن بعض أصحابه قال: "جاء جبريل إلى إبراهيم عليه السلام وهو يوثق ويقمط ليلقى في النار، قال إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا" والحديث بهذا الإسناد لا يصح لأن فيه جهالة أصحاب المعتمر بن سليمان التيمي، وقد ذكره البغوي في تفسيره بلفظ أعم من هذا اللفظ وقال (٢٥٠/٣): (وروى عن أبي بن كعب ثم ذكره وفيه زيادة في آخره وهي قوله: "حسبي من سؤالي علمه بحالي" وهذا الزيادة منكرة وباطلة. قال شيخ الإسلام (٥٣٩/٨) أول هذا الحديث معروف وهو قوله: "أما إليك فلا" وأما قوله "حسبي من سؤالي .." فكلام باطل لأنه خلاف ما ذكره الله عن إبراهيم الخليل وغيره من الأنبياء من دعائهم الله ومسألتهم إياه، وهو خلاف ما أمر الله به عباده من سؤالهم له صلاح الدنيا والآخرة كقولهم: ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ ودعاء الله وسؤاله والتوكل عليه عبادة لله مشروعة بأسباب كما يعذره بها، فكيف يكون مجرد العلم مسقطاً لما خلقه وأمر به؟ والله أعلم" وقد نسب ابن كثير رحمه الله أول هذا الأثر لبعض السلف عند تفسيره للآية. وقال الألباني رحمه الله عن هذه الزيادة في السلسلة الضعيفة (٢٨/١): (لا أصل له أورده بعضهم من قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو من الإسرائيليات ولا أصل له في المرفوع ..).

قالوا: فلو كانت الاستغاثةُ شركاً لم يعرضْها على إبراهيم.

فالجواب: إن هذا من جنس الشبهة الأولى، فإن جبريلَ عرضَ عليه أن ينفعهُ بأمرٍ يقدرُ عليه، فإنه كما قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥] فلو أذنَ له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويُلقيها في المشرق أو المغرب لفعلَ، ولو أمره الله أن يضع إبراهيم في مكان بعيد عنهم لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل(*).

---

* ولهم شبهة أخرى – أي المشركين – لهم شبهة يجوزن بها الاستغاثة بغير الله، يقولون في قصة إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار، وذلك لما كسر أصنام قومه: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٥٩-٦٠] إلى آخر الآيات، جاءوا به، ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٢-٦٣] يعني الذي كسر الأصنام هو الصنم الكبير، فإنه لا يرضى أن تعبدوا معه غيره، ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٤]، وفهموا أن الذي هم عليه أنه باطل، لكن انتصروا لآلهتهم فأوقدوا النيران لإلقاء إبراهيم فيها، لما أضرموا النيران جاءوا بإبراهيم بمنجنيق وألقوه في النار يريدون أن تأكله، اعترض له جبريل في الهواء، وقال ألك حاجة؟ قال إبراهيم أما إليك فلا، وأما إلا الله فبلى، وقع إبراهيم في النار ولكن الله قال: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، قال العلماء: أتبع الله قوله ﴿بَرْدًا﴾ بسلام، لو لم يتبعها بسلام لمات إبراهيم من شدة بردها.

=

وهذا كرجل غنيٍّ له مالٌ كثيرٌ يرى رجلاً محتاجاً فيعرضُ عليه أن يقرضهُ، ويهبه شيئاً يقضي به حاجته، فيأبى ذلك المحتاجُ أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيهُ الله برزق لا منَّة فيه لأحدٍ فأينَ من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون(*)؟.

=فيقال لهم جبريل: نعم عرض على إبراهيم، وجبريل حاضر قادر على أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويلقيها في المشرق أو المغرب لأنه شديد القوى، وقادر – جبريل – على أن ينقل إبراهيم ويرفعه عن النار ويلقيه في مكان بعيد، بل وقادر جبريل أن يرفع إبراهيم إلى السماء، فكيف تستدلون بهذا على أنكم تستغيثون بالأموات والغائبين، فجبريل حي حاضر يقدر على أن يغيث إبراهيم مع أن إبراهيم لم يطلب منه، بل هو الذي جاء يعرض عليه الحاجة فلا دلالة فيها على طلب الاستغاثة بغير الله.

* مثل المصنف في قوله : وهذا كرجل ذي مال كثير يرى رجلاً محتاجاً فيعرض عليه إما أن يقرضه وإما أن يهبه، وإما أن يعطيه فيأبى، بل صبر حتى يأتي الله برزق لا منَّة لأحد فيه، فإبراهيم لم يقبل ما عرض به عليه جبريل، بل صبر حتى يأتي النصر من عند الله لا منَّة فيه لا لجبريل ولا لغيره، فحينئذ لا دلالة في القصة لمن قال بجواز الاستغاثة بالأنبياء والأموات والغائبين والأولياء والصالحين بما لا يقدر عليه إلا الله، ونحن نقول تجوز الاستغاثة بالحي الحاضر القادر أن يغيث المستغيث فيما استغاثه به .. كما تقدمت الإشارة إليه والله أعلم.

[وجوب تطبيق التوحيد بالقلب واللسان والجوارح إلا لعذر شرعي]

ولنختم الكتاب بمسألة عظيمةٍ مهمةٍ تُفهم مما تقدم، ولكنْ نفردُ لها الكلامَ لعظمِ شأنها، ولكثرةِ الغلطِ فيها، فنقول: لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب، واللسان، والعمل، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً.

[أقسام الناس في التوحيد]

فإن عرف التوحيد، ولم يعمل به فهو كافر معاند، كفرعون وإبليس وأمثالهما(*).

وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون: هذا حق ونحن نفهم هذا، ونشهد أنه الحق، ولكنا لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم أو غير ذلك من الأعذار، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر، يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار، كما قال تعالى: ﴿ٱشْتَرَوْا بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا...﴾ [التوبة: ٩] وغير ذلك من الآيات، كقوله تعالى: ﴿...يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ...﴾ [البقرة: ١٤٦]، فإن عمل بالتوحيد

---

* قال رحمه الله تعالى: "ولنختم الكتاب بمسألة مهمة عظيمة جداً تفهم بما تقدم، وهو أن الناس في مقام التوحيد أقسام:

إما أنه يعرف التوحيد، لكنه لا يعمل به، أو أنه يعمل به ولكنه لا يعرفه، أو أنه يعرفه ويعمل به لكنه لا يعتقده.

وعلى تقدير هذه الأحوال لم يكن الإنسان موحداً، بل لا بد أن يعرف التوحيد ويعتقده ويعمل به، هذه الثلاث هي أركان التوحيد، بل لا بد منها.

ولو عمل به وهو لا يعتقده هذا منافق أشر من الكافر الخالص.

أو أنه يعرفه في الباطن لكنه يجحده ويكابر في إنكاره، هذا فيه شبه من فرعون، لأن فرعون يعرف الحق في باطن الأمر ولكنه ينكره جحوداً وعناداً، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا...﴾ [النمل: ١٤].

عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه أو لا يعتقده بقلبه، فهو مناقق، وهو شر من الكافر الخالص ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة، تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس، ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف أو نقص دنيا أو جاه أو مدارة لأحد وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه(*).

---

* وقد يقول إنَّ ما تقولونه هو الحق، أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وأن دعاء الأموات والغائبين وطلب المدد منهم والاستغاثة بهم ينافي التوحيد هذا قولكم حق، ولكن لا نستطيع أن نفعله، لأن أهل بلدنا نشأوا على هذا واعتادوه ولا نستطيع مخالفتهم، هذا أشر مما قبله، يداري أهل بلده من أجل أنهم نشأوا على عبادة القبور والاستغاثة بها وهو لا يعرف أنها باطل، وأن الحق هو في إفراد الله بالعبادة والتعلق وترك عبادة ما سواه، لكن يقول لا نستطيع مخالفة أهل البلد، فلا بد من مجاراتهم، ليس له هذا عذر، بل هذا لا ينفعه، وليس هو معذور عند الله تعالى، فهو ظالم ومخطئ ومجرم في صنيعه هذا ولم يكن موحداً، فإن الله يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ من جنس هذا الذي يقول أنا أعرف الحق ولكن أهل بلدنا لا يوافقوه، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، والآية الأخرى: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٢٠] فمجرد معرفته للحق مع تخلف العمل لا ينفعه، أو يقول لا بد من مداراة الناس والنزول على رغباتهم، لأن مخالفتهم غير سائغة، فهذا مثل من قال الله فيه: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٩]، فعلى كل التقادير المتقدم بيانها، لا بد أن يعرف الإنسان التوحيد، ولا بد أن يعتقده، ولا بد أن يعمل به، ومن العمل به إنكار المنكر على من خالف التوحيد*

[من يعذر بترك التوحيد ومن لا يعذر]

ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله:

أولاهما: قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦].

فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع الرسول ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب[1]، تبين لك أن الذي يتكلمُ بالكفر أو يعمل به خوفاً من نقص مال أو جاه أو مداراة

=وأعلن بطلان عقيدته، وأن هذا شريك من استغاث بغير الله، ومصارحتهم بالعداوة، فإن هذه هي ملة إبراهيم كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [النحل: ١٢٣]، الملة هي الدين – دين إبراهيم – وما دين إبراهيم؟ جاء مبيناً دين إبراهيم الذي أمر نبينا باتباعه في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ﴾ هذه هي ملة إبراهيم ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، لا إنك تجامل أهل البلد أو تجامل الرؤساء أو تجامل المشايخ مثلاً، وهم على ضلال وخطأ، وأن تعرف أن الحق فيمن عندك من شركية من استغاث بغير الله وذبح لغير الله، وطلب المدد من غير الله وسجد لغير الله، ودعا غير الله، لكن مخالطتك لهم وموافقتك لهم ألجأتك إلى أنك لا تنكر عليهم، إذن ضيعت ملة إبراهيم التي جاءت في هذه الآية: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، والله أعلم.

---

(١) تقدم تخريجه.

لأحد، أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها(*). والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ

* فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزو الروم مع النبي ﷺ كفر من كفر منهم بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب، وهو قولهم: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء، هذا في غزوة الرسول لتبوك، وتبوك للروم في ذاك الزمان، أنزل الله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ۝ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]، إذا كان هؤلاء كفروا بسبب كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح واللعب، فما ظنك بمن كفر بفعل أو قول، خوفاً من نقص مال أو مداراة للسلاطين والرؤساء، أو محبة للوطن، أو محبة للعشيرة، فهذا أولى بالكفر، وذلك أنه أقر الكفر مداراة لأهل البلد، كمن لم يكفر، من طلب المدد من غير الله، من باب المداراة أو أنه لم ينكر عليهم وحسن فعلهم، خوفاً على وطنه - يعني يخشى أن يبعد عن وطنه - محبة للوطن أو محبة للمال، أو محبة للتجارة أو ما أشبه ذلك، وفي هذا وأمثاله قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ﴾ أي انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، فسماهم بهذه الآية فاسقين ما دام أنهم قدموا محبة الآباء، ومحبة المال، ومحبة الوطن، أو محبة التجارة، خشية كسادها، أو محبة البيت الذي يسكنه، ومساكن طيبة، قدموها على وجوب إنكار المنكر، وعلى الغضب لله ولرسول فيما إذا انتهكت محارمه، بل أقرهم على الكفر مداراة ومداهنة، فهؤلاء كفروا، فما ظنك بمن فعل هذا الفعل، وقارنت بين هؤلاء وبين الذين قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب=

بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٦-١٠٧]، فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعل خوفاً أو مداراة، أو مشحة بوطنه، أو أهله أو عشيرته، أو ماله، أو فعله على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره، فالآية تدل على هذا من وجهين: الأول قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾، فلم يستثن الله تعالى إلا المكره، ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل، وأما عقيدة القلب فلا يكره عليها أحد(*).

=بطوناً، مع أنهم اعتذروا، وقالوا لا نريد حقيقة الأمر، وإنما نتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق، لا أقل ولا أكثر، ومع هذا لم يقبل الله عذرهم أبداً، بل قال: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، مما يدل على أن لهم سابق إيمان، والله أعلم.

(*) والآية تدل على هذا من جهتين، وهي قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِالْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٦-١٠٧]، المعنى هو أن المشرك في زماننا، قال لك مثلاً: أنتم تكفروننا ونحن قوم نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمداً رسول الله ونؤذن ونصلي ونصوم ونتصدق ونؤمن بالقرآن، ونؤمن بالبعث كيف تكفروننا وتستحلون دماءنا وأموالنا، وتخرجوننا من دائرة الإسلام، تقول لهم أنت: هو بسبب ذبحكم للقبور، وطلبكم المدد يا عبدالقادر الجيلاني، فلهذا نكفركم بسبب هذا، قال هذا لا نكفر به ما دمنا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونؤذن ونصلي ونصوم، هذا لا=

=يكفر؟ تقول له أنت: الرسول كفر أناساً قالوا دون ما قلت ومع هذا أنزل الله فيهم كفرهم، وهم حينما قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً – يعني أوسع أكلاً – ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء، ومع هذا اعتذروا قائلين إنما كنا نقول على وجه المزح واللعب، ونقطع به عنّا الطريق ونتحدّث حديث الركب، جاءوا معتذرين بهذا، الرسول يقول: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أنزل الله فيهم ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] وهم من الصحابة، من جملة من غزو الروم مع الرسول، وأثبت القرآن أن لهم إيماناً: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ فكفروا بسبب هذه الكلمة.

ثم تقول لهم: العلماء في كل مذهب كلهم عقدوا باباً في كتبهم بالإجماع أن من سب الله فهو كافر، ومن شتم هذا الدين فهو مرتد، ومن زعم أن الله صاحبة فهو مرتد، ومن انتقص الرسول فهو مرتد، ولو شهد أن لا إله إلا الله وجاء بكل ما جاء، هذا تقدم.

أيضاً تقول له: الله سبحانه وتعالى لم يعذر إلا المكره، فأنت لست بمكره قال الله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ ﴾ [النحل: ١٠٦] أما من كفر وهو غير مكره بأن تكلم بكلمة الكفر أو عمل بعمل يقتضي الكفر، فهذا نعم تقول إنه مرتد كافر ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل: ١٠٦] كما لو هددت بقتل أو إحراق ووافقتهم مكرهاً فأنت معذور، وإنما وافقتهم في الظاهر وإلا قلبك مطمئن بالإيمان، لأن العقيدة لا يمكن أن أحداً يكره عليها، وإنما تكره أنت على القول أو الفعل فقط، أما العقيدة فلا يتصور إكراه أحد عليها.

والثاني: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧] فصرحَ أن الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا فآثره على الدين، والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم(*).

---

* ثم تأمل قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ..﴾ يعني جاءوا بكلمات الكفر بسبب محبتهم للدنيا على الآخرة، فمن آثر بلداً أو آثر عشيرة، أو مالاً، وقال بالكفر لأجل المداراة أو مشحة بوطنه، أو مشحة بماله أو بعشيرته، هذا لا ينفعه، بل هو مرتد مهما كانت الحالة لأن الله يقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا..﴾ [النحل: ١٠٧] يعني كفروا بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، ولم يكونوا مكرهين مع اطمئنان قلوبهم بالإيمان، فآثاروا حظاً من حظوظ الدنيا، إما مشحة بالوطن أو بالأهل أو بالعشيرة، أو بالمال، وعطفوهم على كفرهم أو تكلموا بكلمات الكفر أو غير ذلك مما هو سبب في إخراجهم عن دينهم، فهم بهذا كفروا ولم يعذروا إلا من أكره بالضرب أو الإحراق أو القتل فيما من شأنه القول أو الفعل دون عقيدة القلب هذا هو معنى قول الشيخ والله أعلم(١).

(١) تم الفراغ منه في ليلة الثلاثاء ١٤١٩/١/١هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

صدر لنور الإسلام

اسم الكتاب	المؤلف
١- ظلم المرأة	محمد الهبدان
٢- فوائد الخطب المجموعة الأولى	د. رياض المسيميري
٣- فوائد الخطب المجموعة الثانية	د. رياض المسيميري
٤- التهذيب الموضوعي لحلية الأولياء	محمد الهبدان
٥- زاد المستقنع، تحقيق ودراسة	محمد الهبدان
٦- حقيقة التوكل	د. رياض المسيميري
٧- شرح كشف الشبهات	العلامة/ عبدالله بن حميد
٨- بنات المملكة	خالد الصقعبي
٩- مكنونات الزوجية	محمد الهبدان

ترقبــــوا المزيـــــد